البعد العملي في التَّفكِيرُ الفَلْسَفيّ
دراسة تحليلية

هانـي بـن عبـدالله الملحم
أستاذ الفلسفة والأديان المشارك
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
الإحساء، المملكة العربية السعودية

التمهيد:

منذ البواكير الأولى للتفكير الفلسفي تعدَّدتْ تعريفاتُه ومفاهيمُه عند الفلاسفةِ أنفسِهم، وقد شكَّل مفهومًا يتمحورُ حول البحثِ العقليِّ الحرِّ المستقلِّ في قضايا الوجود والمعرفةِ والقِيَم أو الحياةِ الكُلِّيةِ، والذي هو في حقيقته يُمثِّل اهتمامًا بالتفكيرِ الفلسفيِّ وعملياتِه العقليَّة والتي ترتبط بجملةِ المواقفِ التي تمتزجُ بحياةِ الإنسانِ والعوالم التي حوله، وما يعايشُه في نفسِه، بالإضافةِ لجملةٍ مِن الكُلِّياتِ والجزئياتِ العقليَّة التي تُمثِّل جانبَ التصوُّراتِ والخلفيَّاتِ الاجتماعيَّة والثقافيَّة المتراكمةِ، وأساليبَ التفكيرِ والتحليل للاتجاهاتِ العامَّة التي تتمحْورُ حول مجالاتِ التفكير الفلسفيِّ، من أهمِّ العلوم الإنسانيَّة وأكثرِها أثرًا في فكرِ الإنسانِ وسلوكِه وتفكيره.

إلَّا أنَّ تعدُّدَ المفاهيمِ الفلسفيةِ ومجالاتِ التفكير الإنسانيِّ وتغيُّرها أو تطوُّرَها أضافَ أبعادًا تكلَّمَ عنها "سقراطُ" في الماضي بطلبِه أنْ يعرفَ الإنسانُ نفسَه بنفسِه، وهي أبعادٌ مُهمَّةٌ في طبيعةِ التفكيرِ الفلسفيِّ ومجالِه المعرفيِّ، والمرتبطة بعلاقة الفلسفةِ بالحياةِ اليوميَّة والظروف المحيطة والتي سمَّاها ابنُ سينا "الحكمة العملية"، والتي تتطلَّبُ في الحاضر تجديدًا وعُمقًا في التحليل والتخطيطِ، والنظرِ في الأبعادِ والرُّؤى العقليَّة البعيدةِ المختلفة، والتي تحملُ فهْمًا للواقع وكيفية تغييره من جهةٍ، وثمرة هذا الفهم والتي تحملُ بعدًا آخرَ يقومُ على تغيير العقليَّة الذهنيَّة بالتصوراتِ السابقة للأشياء، فالفلسفةُ والتفكيرُ الفلسفيُّ ليست تحليقًا في الهواءِ بقدرِ ما هي نظرةٌ حرَّةٌعميقةٌ مستقلةٌ للحياةِ والمجتمع.

إشكاليَّةُ البحثِ:

يتناول هذا البحثُ بالتحليل مفهومَ التفكيرِ الفلسفيِّ وأبعادَه الأُخْرى تلك التي تدورُ مع الإنسان وأساليبِ تفكيره وحياته، ومدى انسجامها مع طبيعة التفكير الفلسفيِّ للأبعاد العملية في الإنسان ومجالاته المتنوِّعة.

- أهميةُ الدِّراسةِ:

لاشكَّ أنَّ معالجةَ المفاهيمِ وطبيعتها وأبعادها في سياقِ الرؤيةِ الفلسفيَّة عمومًا، والفلسفةِ الإسلاميَّة خصوصًا، أمرٌ في غايةٍ من الأهميَّةِ؛ وذلك لارتباطِ هذه المسألةِ بالواقع الإنسانيِّ الراهنِ مِن جهةٍ، وموقف الفكر الإنسانيِّ لحقيقة وأهمية الفلسفة مِن جهةٍ أخرى.

- أهدافُ الدراسةِ: وتتلخَّصُ في الآتي:

١- تسليطُ الضَّوْءِ على: أهميَّةِ الفلسفةِ والفكرِ الفلسفيِّ وأثرِه في الإنسان.

٢- إعادةُ النظرِ في التصوُّراتِ والمفاهيم وإعادة بنائِها فلسفيًّا.

٣- إبرازُ أهمِّ الأبعادِ العمليةفي التفكيرِ الفلسفيِّ.
٤ - إبرازُ الدلائل والشواهدِ المساعدة على فهْمِ التصوُّراتِ والوقائع من طبيعةِ التفكير الفلسفيِّ في الوقتِ نفسِه.

- منْهَجُ البحثِ:

لإنجازِ أُطروحةِ هذا البحثِ سيقومُ الباحثُ بإجراءِ دراسةٍ تحليليةٍ لمفهومِ التفكيرِ الفلسفيِّ، وتوظيف المعلومات والشواهدِ من الفلاسفةِ اليونان والمسلمين، والمدارسِ الفلسفيَّة المناسبةِ لمعالجة المسألة تحليلًا ووصْفًا، والتركيز على الآثار الإيجابيةِ التي تُعزِّزُ أهميةَ الفلسفة والتفكيرِ الفلسفيِّ كمبدأ أخلاقيٍّ وفكريٍّ عامٍّ يقوم على احترامِ الإنسانِ وفكرِه ومنهج حياتِه وآثارهافي تقويمِ منهجِه وعقله، وعلاقتها بمسيرة حياته.

خطةُ البحثِ:

- يأتي البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثيْنِ وخاتمةٍ:
- المقدمة: وفيها أهميةُ البحثِ، وأهدافُه، ومنهجُه، وخطَّتُه.
- التمهيد: وفيه عرضٌ للإشكال، وفرضياتِه، وشروط معالجتِه.
- المبحثُ الأوَّل:الفلسفةُ والتفكيرُ الفلسفيُّ (المفهوم والماهية) من زاوية عملية وفيه مطلبان:
  - الأوَّل: البعد العملي في مفهومُ وماهيةُ الفلسفةِ.
  - الثاني: مفهومُ وماهيةُ التفكيرِ الفلسفيِّ الحديثِ.
- المبحثُ الثاني: البعد العملي في التفكيرُ الفلسفيُّ وأبعادُه الأخرى، وفيه مطلبان:
  - الأوَّلُ: البعدُ الأوَّل للتفكيرِ الفلسفيِّ.
  - الثاني: البعدُ الثاني للتفكيرِ الفلسفيِّ.
- الخاتمةُ والنتائجُ.

المبحثُ الأوَّل:الفلسفةُ والتفكيرُ الفلسفيُّ: المفهومُ والماهيةُ في جانبها العلمي

المطلبُ الأوَّل: مفهومُ وماهيةُ الفلسفةِ

ازدهرت الفلسفة في القرون اليونانيَّة الماضية، وكان أوَّل من استخدمَها كمصطلحٍ هو الفيلسوفُ"فيثاغورس"[١]، وقد اعتُبرتْ علمًا خاصًّا عند" أفلاطون"[٢]، إلا أنَّ العصر اليونانيَّ القديم جعلها مصطلحًا مرادفا للفلسفة، واشتُهر عن كتبِ الموسوعاتِ تعريفُ الفلسفةِ بأنها: كلمةٌ يونانيةُ الأصلِ تنقسم في أصلِها إلى كلمتين (فيلو، سوفيا) وتعنى : محبةُ الحكمةِ أو حبُّ العلمِ. إلا أنها كمفهومٍ وماهيةٍ تعدَّدتْ اتجاهاتُها ومدارسُها الفلسفية حتى أصبحتْ من أثرى أنواع المعرفة الإنسانيَّة.

لذا يقول ماهر عبدالقادر: "والفلسفةُ لونٌ أصيلٌ مِن الفِكْر عَبَّر عن ذاته وتجدَّدَ عبرَ عصور التاريخ مثلُه في ذلك مثلُ العِلم والدِّين، فحضاراتُ الشرق القديمِ قد سجلَّت مجدًا حضاريًّا في محتلف العلوم والفنون"[٣]، لذا ساق يحيى هويدي في مقدمةِ كتابه تعريفاتٍ منها ما ضمَّ المعنى التقليديَّ المعروفَ بمحبةِ الحكمة أو العلم، وهو معنى لم يقتربْ من الفلسفةِ بشكلِه المباشر، وساق تعريفًا آخرَ وهو:"البحثُ في العلل البعيدة" إلا أنَّ الناس عادةً مايخطئون في العلل البعيدة نظرًا لاختلاف طبيعة هذه العلل، وعُرِّفت بأنها:"البحثُ فيما ينبغي أنْ يكون" وهو مجالٌ يضعُ العقلَ والبحثَ في التفريق بين العلم والفلسفة، وقيل إنها تبدأُ حيثُ ينتهي العلمُ. وهو مفهومٌ رفضَه يحيى هويدي؛ كونه يصوِّر الفلسفةَ وعاءً كبيرًا يضمُّ سائر العلوم، وختم بتحذيرٍ شائع للفلسفة على أنها دراسةٌ نظريةٌ تقوم على التأمُّل، ولا شأنَ لها بالأفعال الواقعيَّة التي تحدثُ في الوسط المحيطِ الذي يعيشُه الإنسانُ[٤].

ولعلَّ هذه النظرةَ التي يريدُ الباحثُ أن يؤكِّد عليها ويُبيِّن أنَّ الفلسفةَ إن لم تحملْ أبعادًا وثمرةً حقيقيةً وحِراكًا عقليًّا ذا نتائجَ واقعيةٍ تُؤثِّر في حياة الإنسانِ الفكرية والمعيشةِ، فإنها لا تعدو أنْ تكونَ حِراكًا مع الهواء، إلا أنَّ الحقيقة المهمة في مفهوم الفلسفة هو إيجادُ فكرٍ حرٍّ ومستقلٍّ؛ لذا صار الفيلسوفُ يحملُ تفكيرًا للحياة ذا طبيعةٍ ومعالجةٍ خاصَّةٍ، وهي أهمُّ ما يُميِّز التفكيرَ الفلسفيَّ ، والذي له الآثار العلمية وثماره في التفكير الفلسفي الذي اهتم به الفلاسفة اجمالا.

---

(١) فيلسوف يوناني (٥٨٢ – ٥٠٧ ق.م) برع في الرياضيات والفلك، أسَّس طائفة لها تعاليمُ روحيَّة ذاتُ صبغةٍ صوفيةٍ وفسَّر الكون على أساس العدد والنسب، له كشوفٌ رياضية هامَّةٌ (راجع: الموسوعة الثقافية مادة: فيثاغورستحرير وعناية فايزة حكيم، مؤسسة فرانكلين القاهرة ١٩٧٢ (ص ٧٣٨)).

(٢) فيلسوف يوناني (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م) يعدُّ تلميذًا لأرسطو ومؤسسَ المثالية الموضوعية وقد استخدم على نطاق واسع تعاليمَ سقراط والفيثاغوريين، وقد أنشأ نظرية في تفسير الوجود سماها "المثل أو الأفكار". الموسوعة الفلسفية مادة: أفلاطون، (ص ٤٠).

(٣) ماهر عبد القادر: اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى، (ص ٣).

(٤) يحيى هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، ١٩٨٩م، (ص ٢٢).

لذا أكَّد الفيلسوفُ المسلمُ ابنُ سينا في رسائلِه الفلسفيةِ هذا المعنى، فعرَّفها قائلًا:بأنها صناعةُ نظرٍ، يستفيدُ منها الإنسانُ تحصيلَ ما عليه الوجود كلُّه في نفسِه، وَما الواجبُ عليه عملُهُ مما ينبغي أن يكتسبَ فعله، لتشرُفَ بذلكَ نفسُه، وتستكملَ وتصيرَ عالما معقولًا مُضاهيًا للعالم الموجود، وتستعدَّ للسعادةِ القصوى بالآخرة، وذلك بحسبِ الطاقةِ الإنسانية[١]. والحِكمةُ تعلمُ حقائق الأشياء، والله تعالى يقولُ: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

كما يجدُ الباحثُ أنَّ الحكيمَ ظهير الدين البيهقي[٢]شغلتْه الحكمةُ من كلِّ جوانبِها، واحتضنتْهُ فنونها، فاختارَ لكتابه القيِّم اسمًا يستحقُّ التأمُّلَ والتوقُّفَ "تاريخ حكماء الإسلام"، ولم يقُلْ: "تاريخ فلاسفة الإسلام"، إذ "الحكمة"[٣]بمعناها الواسعِ لدى الفلاسفة[٤]، والحكمةُ كما بيَّنها محقِّقُ كتاب البيهقيِّ: "علمٌ يُبحَثُ فيه عن حقائقِ الأشياء على ما هي عليه في الوجودِ بقدرِ الطاقةِ البشريَّة، فهي علمٌ نظريٌّ غيرُ آليٍّ"[٥]. وإن كانَ الحكماءُ عند بعضِ العلماء هم الذين يكونُ قولُهم وفعلُهم موافقًا للسُّنةِ، أو كما فسَّرها ابنُ عباس أنها في القرآنِ تعلُّمُ الحلال والحرام، فقد جاء في "الرسالة" للشافعيِّ ـ رحمه الله ـ في باب (البيان الرابع) اقتصار الحكمةِ على السُّنة فقال: "كلُّ ما سنَّ رسول الله مما ليس فيه كتابٌ، وفيما كتبنا في كتابنا هذا، من ذكر ما مَنَّ الله به على العبادِ من تعلُّمِ الكتابِ والحكمة، دليلٌ على أنَّ الحكمةَ سنَّةُ رسول الله"[٦].

---

(١) رسائل ابن سينا، علي بن الحسين، أقسام العلوم، (دار المعارف ط١، مصر، ١٩٨٠) (ص ١٠٤).

(٢) أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندق (المتوفى: ٥٦٥هـ)، وهو غير البيهقي أبي بكر الشافعي الحافظ، وهو من سلالة خزيمة بن ثابت الأنصاري ولد سنة ٤٩٩هـ في قصبة سابزوار من نواحي بيهق عاصمة خراسان، درس علوم الشريعة والنحو والأدب، من أهم كتبه "ينابيع اللغة" عدَّد له ياقوت الحموي أكثرَ من ٧٢ كتابًا. مقدمة المحقق، "تاريخ حكماء الإسلام". (ص ٣).

(٣) في العصر اليوناني القديم الحكمة مرادفة للفلسفة، وهي صناعة نظر، يستفيد منها الإنسان في تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما الواجب عليه فعله، مما ينبغي أن يكتسب فعله لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية. رسائل ابن سينا، علي بن الحسين، أقسام العلوم، (دار المعارف ط١، مصر، ١٩٨٠) ص ١٠٤، والحكمة تعلم حقائق الأشياء، والله تعالى يقول: (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة:٢٦٩].

(٤) الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية، وهي فيلو سوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عُرِّبت قيل فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه، ومعناها :علم حقائق الأشياء والعمل بها بما هو أصلح، تتناول أبعادًا وتصوراتٍ عميقةً، وليست مختصةً بمعنى واحد، ونقل البيهقيُّ في ترجمة أبي الفتح يحيى بن علي البستيِّ قوله:

تَــــقِ اللهَ والــــزَمْ عُــــرَى دينِــــهِ وبعْــــدهما فــــاعْرِفِ الفلسَــــفهْ

ودعْ عنــــكَ قومــــًا يعِيبونهــــا ففلســــفة المــــرءِ فــــلُّ السَّفــــَــــهْ

ونقل تعريف الجرجاني، علي بن محمد (بيروت: دار الكتب العلمية(ص ٧٥)) قوله: "التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادقُ عليه الصلاة والسلام في قوله: "تخلَّقوا بأخلاق الله" أي: تشبَّهوا به في الإحاطةِ بالمعلومات والتجرُّدِ عن الجسمانيات" . ، والقفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، (مؤسسة الخانجي)، د.ب، القاهرة، (ص ٥٠)، ونقل البيهقيُّ عن السيد الإمام الفيلسوف شرف الزمان محمد اليلاقي قوله فيها: "الفلسفة علم الكل، وصناعة الصناعات"، (ص ١٣٢).

(٥) مقدمة المحقق، (ص ١٥).

(٦) الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق محمد سيد الكيلاني، (دار الكتب)، بيروت، ١٤٠٣هـ، (ص ٢٢).

لكنَّ البيهقيَّ أكَّد أنَّ الحكمةَ تتناول مفهومًا أوسعَ من هذا، وأنها أيضًا غيرُ مختصةٍ بالمسلمين قائلًا: "الحكماءُ أربعة: اثنان قبل الإسلامِ وهما أرسطو وأبو قراط، واثنان بعد الإسلام هما أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا"[١]، كما نقل البيهقيُّ قول الفارابي في الحكمةِ قائلًا: "ينبغي لمن أراد الشروعَ في الحكمةِ أنْ يكونَ شابًّا صحيحَ المزاج، متأدِّبًا بآداب الأخيارِ، قد تعلَّم القرآنَ واللغةَ وعلمَ الشرع أوّلا، ويكونَ صيِّنًا عفيفًا متحرِّجًا صدوقًا، مُعرضًا عن الفِسْقِ والفُجورِ والغدرِ والخيانة والمكرِ والحيلة، وأن يكون فارغَ البال من مصالح معاشِه، مقبلًا على أداء الوظائفِ الشرعية، غيرَ مخلٍّ بأركانها، ولا مخلٍّ بآداب السُّنة"[٢]، وهنا نلحظُ أنَّ هذه الكمالاتِ الإنسانيةَ هي ما تحرصُ عليها الفلسفةُ والفلاسفةُ بشكلٍ عامٍّ، وهي جزءٌ مما ذكره ابنُ سينا في سياقاتِ الحكمةِ الخلقيةِ، فابنُ سينا علَمٌ دارتْ علومُه ومعارفُه حول علومِ الحكمة التي شغلتْه، وكانتْ من أبرزِ علومِ عصرِه ومن يقرأ رسائلَه وخاصةً مقدمة كتاب في النفس يلحظ ذلك .

ولقد نقل ابنُ سينا في رسائلِه بابًا سماه "الحكمةُ وأقسامُها " وقسَّمها إلى حكمةٍ نظريةٍ وعمليَّةٍ، والحكمةُ النظريةُ وهي التي نعلمُها وليس لنا أنْ نعملَها، أمَّا الحكمةُ العمليةُ فهي التي تتعلقُ بالأمور العمليةِ التي لنا أنْ نعلمَها ونعمَلها،ويأتي في أقسامِ الحكمة العمليَّة حكمةٌ مدنيةٌ وحكمةٌ منزليةٌ وحكمةٌ خلقيةٌ، ومبدأ هذه الثلاث مستفادٌ من جهة الشريعةِ الإلهيةِ وكمالات حدودِها تستبينُ بالشريعة الإلهيَّة، وتتصرفُ فيها بعد ذلك القوةُ النظريةُ من البشرِ بمعرفة القوانينِ العمليَّةِ، ويرى الباحثُ أنَّ هذا المعنى له علاقةٌ بتحصيل السَّعادة والتي ذكرها ابنُ سينا في رسالة "السعادة والحجج العشرة"[٣]، وهو ربطٌ مفيدٌ لعلاقة الفلسفةِ بحياة الإنسان العمليَّة وأنَّ البعد لمفهوم الفلسفة يأخذُ بالإنسانِ إلى تعديل السُّلوك، وبناءِ عقل قيميٍّ وعمليٍّ، لذا نجده يقول:"وقد يظنُّ البعضُ أنَّ السعادةَ هي الفوزُ باللذاتِ الحسِّيةِوالرِّياسات الدنيويةِ وهي ليستْ من شيءٍ في السعادةِ، إذ كلٌّ منها لا يخلو من نقائصَ ولا تصفو من شوبِ المكاره"[٤]. ويكملُ ابنُ سينا مستطردًا في نقل حديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:"إنَّ الحكمةَ لَتنزلُ من السَّماءِ فلا تدخلُ قلبًا فيه همٌّ"[٥].

---

٢٢).

(١) البيهقي، ظهير الدين، ١٩٤٦م، تاريخ حكماء الإسلام (ص ٣٠)، تحقيق محمد كرد علي، دمشق: ط الترقي.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) رسائل ابن سينا (ص ٢٤١).

(٤) المرجع السابق (ص ٤٤٢).

(٥) ليس بحديث، وإنما هو من كلام إبراهيم الخوَّاص، قال: «الحكمة تنزل من السماء فلا تسكنُ قلبًا فيه أربعةٌ: الركون إلى الدنيا وهمُّ غد، وحبُّ الفضول وحسد أخ». انظر: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (١٠/ ٣٢٦)، أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

ولقد ركَّز ابنُ سينا على الحكمةِ المدنيَّة وفائدتها أنْ تعلمَ كيفية المشاركة التي تقعُ فيها بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدانِ ومصالح بقاءِ نوع الإنسانِ، والحكمة المنزلية فائدتها أن تعلمَ المشاركة التي ينبغي بين أهل منزل واحدٍ لتنظيم المصالح المنزلية والتي بين الزَّوجين،أما الحكمةُ الخُلقية ففائدتها أن تُعلمَ الفضائلُ وكيفية اقتنائها لتزكوَ بها النفسُ، وتُعلمَ الرذائلُ وكيفيةُ توقِّيها لتتطهرَ عنها النفسُ[١] ، وأردفَ ابنُ سينا مبيِّنًا مفهومَ الحكمة النظرية وقسمَيْها، ومنها الحكمةُ الطبيعيةُ، وهي تتعلَّق بما في الحركة والتغيير، وحكمةٌ تتعلق بما من شأنه أنْ يجرِّدَه الذهنُ عن التغيير، وإن كانَ وجودُه مخالطًا للتغيير ويُسمَّى حكمةً رياضيةً ، وهو مما جعله ابن سينا لمخالطة الحكمة للمادة شرطا في وجوده إذا انتسبت للإنسان ، وشرطا في تعقلها إذا ارتبطت بالعلوم الطبيعية .

ويرى الباحثُ أنَّ الأقسامَ التي بيَّنها ابنُ سينا في الحقيقة كلُّها مجالاتٌ لتمحوُرِ الفلسفةِ بمفهومها الشُّمولي وعلاقتها بالإنسان، وهي في المقابل تفيدُ العقلَ وإدراكاتِه المعرفيَّة في إقامة البرهنة، وتحصيل الكمال في النفس الإنسانيَّة، ولكن مما لا بدَّ من معرفته أنَّ مقصود الفلاسفة جميعًا هو الوصول إلى الحقيقة، فهم يريدون من هذا العلم معرفة الأشياء والأمور على حقيقتها، ومعرفةُ الأشياء على ما هي عليه.

وقد عرَّفها صاحبُ كتاب "الموسوعة الفلسفية "بأنها: "علمُ القوانين العامَّة للوجودِ والتفكير الإنسانيِّ وعمليَّة المعرفة، والفلسفةُ شكلٌ من أشكال الوعيِ الاجتماعيِّ، وهي تتحدُ في النهاية بعلاقاتِ المجتمعِ الاقتصادية، وعلاقةِ الفكرِ بالوجودِ والوعي والمادَّة"[٢].

ويميل الباحثُ إلى رأي روزنتال كونه التعريفَ الذي يعبِّر عن أبعادٍ جديدة للفكرِ، والتي هي النتاجُ الأعلى للدماغ، والتي ترتبطُ بالعمليَّة الإيجابية التي تظهرُ ثمارُها على العالم الموضوعيِّ في المفاهيم والنظريات، والتي تُظهر أنشطةَ العقل الإنتاجية وترتبط بالتطوُّر الاجتماعيِّ الذي لا ينفصل عن أنشطته كالكلام والعمل والتحليل[٣].

واستخدامُ اللغة في التعبير والتركيبِ وصياغةِ مهامَّ جديدةٍ وحلِّ مشكلاتٍ، وكلُّها تُسفرُعن حقيقةِ أنَّ الفكرَ قادرٌعلى أنْ يُترجمَ الواقع ويغيِّر فيه، ويُوجدَ لونًا من تفاعل الفردِ مع موضوع المعرفة وما يتكبَّله من آلياتٍ لحلِّ المشكلاتِ أو اكتسابِ مهاراتٍ لتغيير نمطيَّةِ بيئةٍ

---

(١) الرسائل لابن سينا (ص ٣٠).
(٢) روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ط٥، بيروت، ١٩٨٥، (ص ٣٣٦).
(٣) وهي عملية التفتيت العقليِّ لكلِّ ما إلى الأجزاء المؤلف منها، ويلعب التحليل دورًا هامًّا في عملية المعرفة، وينمِّي لحاء نصف الكرة المخيِّ كونه نشاطًا يستخدم للتصورات المجردة، ويرتبط بالعمليات الذهنية السابقة، لذا يعدُّ المنهج التحليليُّ في البحث منهجًا ميتافيزيقيَّ التفكير. الموسوعة الفلسفية (ص ١١٤).

أو فكرٍ لتلبية حاجات الإنسان؛لذا ارتبط مفهومُ الفلسفةِ كمصطلح في أوساط العامَّة بمفاهيم خاطئةٍ، أو معقدةٍ، أو ذاتِ إشكال، فأصبح من يتكلَّم كلامًا مُبهما، أو لا يُستَوْعبُ للوهْلة الأولى يقال له:"لا تتفلسف"، مع أنَّ هذا ليس استخدامًا للمصطلح وتوظيفًا له بالشكل الصحيح، بل الإنسان الذي يتكلم كلامًا كهذا يسمى "المتفيهق"، والذي حذَّر منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم[١]، والحقيقةُ أنَّ التعامل مع الفلسفة كعلم لم يعُدْ حاضرًا رغم الحاجة إليه إلا عند بعض النُّخب خاصةً في ظلِّ التطوُّرات التكنولوجية التي يشهدها العالم اليوم.

ولعلَّ متطلباتِ عصرنا الحالي، وأمام هذه الأوضاع والمعطيات الجديدة ستوقفُنا على حقيقة أنَّ الفلسفة أضحتْ تبدو لنا غائبةً، وكأنها تنتمي ـ حقًّا ـ إلى مرحلةٍ قد ولَّتْ. فهي ذاتُ طبيعة نظريةٍ تغرق في التجريدِ والعمومية؛ ومنطقها غير متلائمٍ مع مشاكل العالم اليوم؛ وليستْ لها أيَّةُ مردوديَّة ملموسةٍ ومباشرةٍ، وتكاد تكونُ منقطعةَ الصِّلة بمشاكل الحياة اليوميَّة[٢]، وفي هذا المعنى يشير صاحب كتاب"مدخل إلى الفكر الفلسفيِّ":"ليست الفلسفة من الأمور التي تهمُّ المتخصصَ فقط، وإنما تهمُّ الجميعَ، وذلك لأنه وإنْ كان هذا الأمرُ قد يدعو إلى الدَّهشةِ، لا يوجدُ في الغالبِ إنسانٌ لا يتفلسفُ، أو على الأقل فإنَّ لكل إنسانٍ لحظاتٍ في حياته يكون فيها فيلسوفًا، وهذا شيءٌ يصدق بوجه خاصٍّ على علماء الطبيعة والمؤرخين والفنانين؛ فهولاء جميعًا تعوَّدوا أن يشتغلوا بالفلسفة إمَّا في وقتٍ مبكِّرٍ أو في وقت متأخِّر"[٣].

ومن هنا يرى الباحث أن الفلسفة _ في سبيل تحصيل فوائدها _ لا بد أن تعيش مع المجتمع ، وأن تنظم بالفعل معاش هذا المجتمع، وتدير تفكيرها فيه المستويين الإقتصادي والاجتماعي ، كما يرى الباحثُأيضا أنَّ حياتَنا اليوميةَ وما يعتريها من مشكلاتٍ اجتماعيةٍ أو اقتصادية مجالٌ خصبٌ لفتح قنواتِ العقل والتحليل لهدفِ الوصول للحقيقةِ، والتي هي جزءٌ من حلِّ المشكلاتِ أو فحصِها بشكلٍّ دقيقٍ، والتي تشكلتْ عن طريق إعمال البحثِ والتجاربِ السابقةِ والحاضرة، وربما كانتْ مثل هذه التجاربُ الحياتية واليومية لا تأتي إلا من بوابة إمْعانِ الفكر بمهارةِ عرض السؤال وكيفيةِ الإجابة عنه من خلال الافتراضاتِ، وتحليل الأجزاءِ وفحْصِها، والفلسفةُ إنْ لم تستطع الإجابةَ عن أسئلةٍ كثيرةٍ كما نرغبُ، فإنها على

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي وحسَّنه (رقم ٢٠١٨)، وغيره عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا : «**وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدكم منِّي في الآخرة مساوئكم أخلاقًا الثرثارون المتفيهقون**». وتفيهق في كلامه: إذا تنطع وتوسع فيه ، (انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، (٢٦/ ٣٣٣)، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥) مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية).

(٢) سامي محمود ابراهيم، بحث "الفلسفة.. وفقه الواقع" (قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الموصل)، نشر في جريدة الرقيب الإلكترونية، (عدد الثلاثاء، ٢٥ حزيران، العراق، ٢٠١٩).

(٣) جوزيف يوخنسكي: مدخل إلى الفكر الفلسفي، ترجمة وقدم له وعلق عليه محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، (ص ١٥).

الأقلِّ تستطيعُ أن تثيرَ أسئلةً تزيدُ من اهتمامِنا بالكون، وتكشفُ عن الغرابةِ والدَّهشةِ الكامنيْنِ وراء سطحِ الأشياءِ، حتى في أكثرِ الأشياء أُلفةً في الحياةِ اليوميَّة[١].

من هُنا نستطيع أنْ نؤكِّد أنَّ الفلسفةَ تسطيعُ أنْ تؤديَ مهامًا كبيرةً كونها تمنحُ العقلَ المعرفةَ التي يمكنُ الوصولُ إليها، المعرفةَ المتعلِّقة بالكون والإنسانِ والحياة، والمتعلقةَ بطبيعةِ الواقع وكيفية تغييرِه ، والحديث هنا يؤدي بنا إلى واحد من أهم أدوار الفلسفة الحياتية وهو تنظيم المجتمع، وضبطه، وإحكامه مما له الأثر الأكبر في نجاح الإنسان في تحقيق أهدافه من سعيه في الحياة اليومية .

ويرى الباحثُ أنَّ المهمَّةَ الكبرى للفلسفة وما تثمرُه من فكرٍ فلسفيٍّ في صياغةِ الأسئلة وفي المقابل تصلُ بالعقل لكيفية الجوابِ عنها وحلِّ المشكلاتِ. يقول يحيى هويدي: "البحثُ في الفلسفة هو أوَّلًا وقبل كلِّ شيء موقفٌ من الحياة، وهو يمثِّلُ أحدَ مستوياتِ تفكير الإنسان في هذه الحياة، وعدم الاكتفاءِ بالوقوف على سطْحِها أو على قشرتها كما يفكرُ الشخصُ العادي"[٢].

(١) المرجع السابق (ص ١٩).
(٢) يحيى هودي: مقدمة في الفلسفة العامة، (ص ٢٨).

المطلب الثاني: مفهوم وماهية التفكير الفلسفي

حينَ يبدأُ الحديثُ عن مفهوم التفكير الفلسفيِّ يجدرُ بنا أن نؤكِّدَ أنَّ التفكير الفلسفيَّ له مفهومُه الخاصُّ، ومجالاته[١]وأدواته الخاصَّةُ، وفي المقابل نفهم أنَّ التفكير هو العمليةُ التي تتمُّ عبرَ سلسلةٍ من النشاطاتِ التي يقومُ بها العقلُ حينما يتعرضُ لمثيرٍ حسيٍّ أو فكريٍّ، وهي عمليةٌ مجردةٌ يشوبُها الكثيرُ من الغموضِ، حيثُ تنطوي على نشاطاتٍ غيرِ مرئيَّة وغير ملموسةٍ، فما نلاحظُه أو نلمسُه منها هو في الواقع نواتجُ لفعل التفكيرِ ذاتِه، سواء جاءتْ بصورةٍ منطوقةٍ في الكلام، أو بصورة مكتوبةٍ، أو بصورة حركيَّة، وقد شُغِل الفلاسفة والعلماء بتحليل عمليةِ التفكيرِ منذُ"أفلاطون" و"أرسطو" في العصر اليونانيِّ وحتَّى الآن، فقد قال "أفلاطون": إنَّنا لا ندرك أيَّ حقيقةٍ بصددِ أيِّ شيء إلا من خلال التفكير، ونقصِدُ بِه التفكيرَ العقليَّ المجرَّد[٢].

وقال "أرسطُو": إنَّ التفكيرَ العقليَّ المجرَّدَ عمليةٌ تتمُّ خارجَ الجسم ومفارقةٌ له، فالتفكيرُ ـ لديه ـ ليس عمليةً ماديةً، بلى تنأَى عن قوانين المادةِ، فبينما تتأثرُ حواسُّنا الخمسُ بكثرة الإحساسات لدرجةٍ تضعف معها من كثرة الاستخدام؟ إذ يبدأ الإنسانُ حياتَه وقدرتُه على الإبصارِ كاملةٌ، ثم تضعفُ شيئًا فشيئًا، وهكذا في بقيةِ الحواسِّ[٣].

هنا أقول: بينما يحدثُ ذلك في عمليَّة الإدراك الحسيِّ، نجد أنَّ عمليةَ التفكير لا تتأثَّر بأيِّ شيءٍ ماديٍّ، إذ ينشطُ العقل وتتقدَّمُ قدراتُه التفكيريةُ والإبداعيةُ بكثرةِ التفكير وممارسةِ الإبداع الفكريِّ. وعلى كلِّ حال فعمليةُ التفكير تبدأ من تلقِّي ما تخطُّه الحواسُّ الخمسُ على صفحة العقل من انطباعات ومدركاتٍ حسِّية، وتنتهي بتحليلات وتأمُّلات عقلية مجردة، فهي عمليةٌ حركيةٌ وتمرُّ بمراحلَ عديدةٍ وصورٍ مختلفة للتفكير[٤].

---

(١) للتفكير الفلسفيِّ ثلاثةُ مجالاتٍ رئيسةٍ يدور عليها هذا العلم:
المجالُ الأوَّلُ: مسألةُ الوجود، وهذه هي المسألةُ الأمُّ في الفلسفة ويُقصَد بها: البحث في وجود هذا العالم، وما وراء هذا الكون، وفي وجود الله عزَّ وجلَّ، وهذه الفلسفة هي التي تدور الإجابة عنها جميعَ الفلسفات
والمجالُ الثاني: المعرفةُ، ويراد من هذا المجال الوصولُ إلى معرفة الأشياء وطبيعتها وما الطرقُ الموصلةُ إلى المعرفة وغير ذلك من الأمور.
والمجال الثالثُ: القيمُ، وتبحث في فلسفة الأخلاق وما يتصفُ به الفرد والمجتمع من الأخلاق الحميدة والصفاتُ الحسَنة.
فهذه المجالاتُ الثلاثُ هي المجالاتُ الرئيسةُ للفلسفةِ التي تدورُ على جميع الفلسفات، فلا تجدُ مسألة من مسائل الفلسفة إلا وهي تندرجُ تحتَ أحدِ هذه المجالات الثلاثة. وإن مما ينبغي أنْ يعلم أن للفلسفة مناهج مختلفة في طريقة الوصول إلى الحقيقة.
(٢) مصطفى النشار: التفكير الفلسفي: المبادئ – المهارات وتطبيقاتها، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، (ص ١١)،
(٣) المرجع السابق، ص١١
(٤) المصدر السابق، ص ١٢.

ولعلَّ ما يقوله "راسل"[1] ويؤسِّسه كمفهومٍ حول عمليَّةٍ عقليَّةٍ حركيَّةٍ تتناغم مع ما يتلقَّاه الإنسان من الحواسِّ ويؤثر فيه على العقل هو يؤسِّسُ كذلك للتفكير الفلسفيِّ مراحلَ ومهاراتٍ خاصةً، فالإنسان منا يُولد ولديه قوةُ العقل، أي: لديه ـ بالتعبير الأرسطي ـ الاستعدادُ للتفكير العقليِّ دون أنْ يكونَ قادرًا عليه فعلًا، وعندما تبدأ قواه العقلية في النمو تبدأ في تلقِّي الإدراكاتِ الحسيةِ المباشرة عبر الحواسِّ الخمس، ثم تنمو أكثرَ فيبدأ المرء في فلسفة الأفكار المبسطة الموروثة التي تأتي عبرَ الآباء والأمهاتِ، والأهل، والأصدقاءِ، والمحيط الاجتماعيِّ من حوله، ولو أنه نمطٌ سلبيٌّ من التفكير، فهو ليس تفكيرًا بقدرِ ما هو تلقٍّ ساذجٌ لأفكارِ الآخرين ومعتقداتهم، والتعبير عنها دونَ إعمال للعقل فيها.

وهذا المعنى يؤكِّد شأن الثقافة، والتربية الاجتماعية، والعوالم المحيطة بالفرد، والتي يتنقلُ فيها الإنسانُ عبر مراحلَ ثلاث تبدأ بعالم الأشياء، ثم عالم الأشخاص، ثم عالم الأفكارِ، وفي كلِّ مرحلة يبدأُ اشتدادُ عودِ التفكير العقليِّ، ويتجذَّرُ ـ حقيقةً ـ لدى الإنسان حينما يبدأُ في عدم التسليم بأيِّ فكرةٍ تُلقَى عليه، ويحاول بشكل أو بآخرَ إخضاعَها للنقدِ والتعديل حتى يُمكنَهُ تكوينُ المبادئ الأولى البسيطةِ التي توجِّهُ سلوكَه وتعبِّرُ عن رؤيته للحياة، وهذا هو التفكيرُ الفلسفيُّ في أبسطِ درجاتِه، أيْ: يبدأ في البحثِ عن المبادئ الأساسيَّة للتفكير الصحيح ومعرفتِها، وبهذا ينتقلُ إلى تعلُّم مبادئ الاستدلال المنطقيِّ وقواعدِ التفكير الصحيح، ويميِّزُها عن الاستدلالاتِ الخاطئة، ومن ثَمَّ يمتلك القدرةَ على التمييزِ بدايةً بين العباراتِ التي يستخدمُها استخدامًا عشوائيًا، وبين العبارات التي يمكنُ أن تكونَ البدايةَ للتفكير المنطقيِّ والعلميِّ على حدٍّ سواءٍ.

ويرى الباحثُ أنَّ دائرةَ التفكير الفلسفيِّ تنطلق من مرحلةِ الفهمِ ثمَّ مرحلةِ القبول، وحين يبتعدُ الإنسانُ عن دائرة الفهْمِ من جميع زواياه، يبتعد عن معرفةَ الحقيقةِ والاستقلاليةَ والتفكيرَ الموضوعيَّ لمباديء الاستدلال المنطقيِّ، ومثال ذلك أنَّ العقلَ لا يستطيعُ أنْ يحكمَ بشكل ساذجٍ على عالم هندوسيٍّ في الطبِّ أو الهندسة لمجردِ أنه يراه يتعبَّدُ أو يقدِّم القرابين للبقرةِ ثم يصفُه بالغباءِ أو عدمِ التفكير... إذ الأمرُ إذا أُخضِع للتفكير الفلسفيِّ ومجالاتِه وأدواتِه التي تتطلَّبُ الفهمَ والتحليل المتجردَ، ثم السؤال ليصلَ لدائرة الفهم، فهذه هي غاية التفكير، وليس معنى ذلك قبوله للفكرةِ، وهذا محضُ طبيعةِ التفكير الفلسفيِّ المتَّسمِ بالحريَّة والتجرُّدِ العقليِّ المحضِ.

---

(١) رسل: (١٨٧٢ ـ١٩٧٠) فيلسوف وعالم منطق وشخصية بريطانية ساهم في تطور المنطق الرياضي الحديث، وذهب إلى أنَّ الفلسفة تستمدُّ مشكلاتها من العالم الطبيعيِّ، وأنَّ مهمَّتَها تحليلٌ وتفسير ماديٌّ لمفهوم العالم الطبيعيِّ وأنَّ ماهية الفلسفة المنطق التحليليُّ. (انظر يودين روزنتال: الموسوعة الفلسفية (ص ٢٢٢)).

وإذا ما نجح المرء في امتلاكِ ناصيةِ التفكيرِ المنطقيِّ بمعرفة أنواع القضايا المنطقية وأنواع الاستدلالاتِ، مميِّزًا بين الاستدلالاتِ الاستنباطية الصورية والاستدلالات الاستقرائية التجريبية، فهو بهذا قد امتلكَ الأداة الحقيقيَّة للتفكير العلميِّ والتفكير الناقد في آنٍ معًا، إذْ بالتفكير العلميِّ والتفكير الناقد تتكوَّنُ العقليةُ العلميةُ الواعيةُ، لأنها أصبحتْ تمتلك أدواتِه، وبقي عليها أنْ تتدرَّبَ على استخدام هذه الأدواتِ التي هي بمثابةِ المهاراتِ الضرورية اللازمةِ في كلِّ مجالاتِ العلم والمعرفة العلميَّة.

إنَّ التفكيرَ العلميَّ والتفكيرَ الناقدَ- وهما متقاطعان ويتلاقيان في نقاطٍ كثيرةٍ بلا شكٍّ - قد يكونان مدخلًا للإبداع في العلوم، وقد يكونان مدخلًا للإبداع الفلسفيِّ، ومنهما ينتقلُ المرء إلى ذرْوةِ هذه الشجرة للتفكير العقليِّ، إنَّ ذروتها هي التفكيرُ الفلسفيُّ المجردُ الذي يطمحُ به الفيلسوفُ ليس إلى حلِّ المشكلاتِ التي تواجهُه في الحياة اليوميةِ، أو تفسيرِ الظواهر المختلفةِ والتي تنتمي إلى أيِّ علمٍ من العلوم المعروفة، وإنما يطمحُ إلى إدراك جوهر الوجود ككلٍّ وجوهرِ الحياةِ ككلٍّ، محاولًا الإجابةَ عن التساؤلاتِ الجوهرية للوجود، والحياة، والمصير، والطبيعة الحقيقية لما يعيشُه الإنسان من ظواهرَ غيرِ تابعةٍ للقياس العلميِّ عبر التساؤل عن معنى الدين، وطبيعة النفس، أو ما الهدفُ منَ العلمِ؟

وتأتي طبيعيةُ التفكيرِ المجردِمن أنها تنمو في جوٍّ من الحرية العقليَّة، بحيثُ لا تخضع لسلطةٍ ما، فطبيعةُ العلم والفلسفة والتفكير الفلسفيِّ تبتعدان عن التوتُّر وعدم الخضوع للأهْواء الذاتية أو المؤثرات الشخصية، وكلُّ هذا مما ترمي إليه طبيعةُ التفكير الفلسفيِّ والذي يتمحوَرُ حول حركةِ الفكرِ من الخارج إلى الداخل وإلى الموضوعيَّة [1].

لذا ثمَّةَ فرقٌ كبيرٌ بين التساؤل العلميِّ الذي يحاول تفسيرَ ظاهرة جزئيةٍ معينة وبينَ التساؤل الفلسفيِّ الذي يتجاوز التساؤل عن هذه الظواهرِ الجزئية إلى ما ورائها، محاولًا الوصول إلى العلَّةِ الأولى للوجود، وإدراك الأسباب المسبِّبةِ لهذه الظواهر الجزئيةِ عينها، وإنَّ للتساؤلَ وللتأمُّلَ الفلسفيَّان طبيعةٍ الفلسفيان مجردةٍ تنأَى عن المحسوسِ والمادِّي مركِّزة فيما وراءه، وتتجاوز الجزئياتِ إلى الكلِّ الذي يجمعُها، وتتجاوزُ هذا الكلَّ الذي يجمعُها إلى التساؤل عن علَّتِه الأولى وعن مبدع الجزئيات والكلِّياتِ معًا.

إنه التساؤلُ الذي يرتفعُ من المحسوسِ إلى المعقول بلغةِ"أفلاطون"، ويتجاوزُ الموجودَ الماديَّ إلى صورتِه المجردةِ ثمَّ إلى صورةِ الصُّور، أي: الإلهِ بلغةِ"أرسطو"، ومن ثَمَّ عُرفت

---

(١) يحيى هودي: مقدمة في الفلسفة العامة هويدي (ص ٥٠) بتصرف يسير.

الفلسفةُ في الزَّمن القديمِ بل وفي العصُور الوسْطى ـ مسيحيةً وإسلاميةً أيضًا – بالعلمِ الإلهيِّ، وكان التوفيقُ بينها وبين الدِّين مسألةً حيويةً في ذلك الزمانِ، إلى أنْ نجحَ الفلاسفةُ والعلماءُ ومنْ ثمَّ نجحَ البشرُ عمومًا في التفرقة بين الدِّين والفلسفة والعلمِ، وصار كلٌّ له مصدرُه ومنهجُه الواضحُ، وموضوعاتُه المختلفةُ، وإن ظلَّت الروابطُ بينهم جميعًا موجودةً ؛ إذ لا غنى للإنسان عن أنْ يكون مؤمنًا بدينٍ معيِّنٍ يؤمِّن له الحياةَ المثلى والمصيرَ الحسنَ، ولا غنى له عن أنْ يفهمَ الظواهرَ الطبيعيةَ مِن حوله بالعلم، كما أنه لا غنى له عن أن يتأمَّلَ كلَّ ما حولَه، ويفكِّرُ فيما وراءَ كلِّ هذه الظواهرِ والوجودِ بعقلِه الواعي، فيصير فيلسوفًا أو في طريق التفلسُف أيًّا كانت الدرجةُ التي سينالُها ويصلُ إليها عبرَ تفكيره الواعي ذاك[1]،ولكي يفكِّرَ الإنسانُ بأيِّ شكلٍ من أشكال التفكير، لا بدَّ أنْ يستخدمَ بعضَ العمليات أو المهاراتِ الخاصَّة التي تساعدُه على جعل التفكير الفلسفيِّ جزءًا من الحياةِ العامَّةِ وحلِّ مشكلاتها، وهنا تبرزُ مهمَّةُ الفيلسوف في معالجة قضايا عصرِه ومنها:أثر الإرهابُ والتطرُّفُ مثلًا، ومدى معرفةِ الفيلسوفِ بمسؤوليتِه تُجاهَ مجتمعِه ووطنِه.

ولقد نقل صاحبُ كتاب "التفكير الفلسفيّ" مهاراتٍ تساعدُنا على التفكير في أيِّ شيء أو في حلِّ أيِّ مشكلة هي (مهارة الملاحظة)، وهي المهارةُ التي نتمكَّنُ من خلالها من جمع المعلوماتِ والبيانات من خلال استخدام حواسِّنا مفردةً أو متآلفةً، وعملية جمع البيانات والمعلومات لا بدَّ أنْ تكونَ مصحوبةً بهدفٍ محدَّدٍ نسعى لتحقيقِه أو الوصول إليه ، وتأتي بعدُ (مهارةُ المشاهدةِ والملاحظة) ثمَّ (مهارةُ التصنيف)، إذ بعد جمع البياناتِ والمعلوماتِ يبدأ العقلُ في تصنيفها وتنظيمِها، وهي مهارةٌ أساسيةٌ لبناءِ الإطارِ المعرفيِّ لأيِّ إنسان، فهو عندما يصنِّفُ الأشياءَ والمعارفَ يضعُها في مجموعاتٍ وفقَ نظامٍ معيَّنٍ، وبعد المشاهدة والتصنيف تأتي مهارةُ المقارنة، إذ يبدأ الإنسانُ في المقارنة بين الأفكارِ، أو بين الأشياءِ أو بين الظواهر أو بين الأحداثِ، وفقًا لأوجُهِ الشَّبَه أو الاختلاف، ليخلُصَ إلى أوجُهِ الاتِّفاق أو الاختلافِ فيما بينها.

وبعدَ هذه المهاراتِ الثلاثِ تأتي (مهارةُ التفسير) وهي عمليةٌ عقليةٌ غرضُها تفسيرُ الموضوع أو الحدثِ أو الشيء موضعَ الملاحظةِ والتفكير، والتفسير عبارةٌ عن استخلاص المعنى أو القانون المنظِّم لهذا الشيء أو هذه الظاهرة، أو تلك الخبرةِ الحياتية التي نحاول فهمَها وتفسيرَها من خلال التفكير فيها ، وثمَّةَ مهارةٌ أُخْرى تسمَّى (التلخيص)، حيثُ يمكنُ للمرءِ أنْ يُلملِمَ أفكارَه وملاحظاتِه ليتوصَّلَ في النهاية إلى الأفكار العامَّة أو الأفكارِ الرئيسةِ

---

(١) مصطفى النشار: التفكير الفلسفي، (ص ١٣).

ليعبِّر عنها بوضوح وإيجازٍ، وهي عمليةٌ ليستْ بسيطةً؛لأنها عمليةٌ تنطوي على التجريدِ أو كشفِ الارتباطاتِ وبيان الاختلافاتِ، إنها عمليَّة نعيدُ فيها بشكل مبسَّطٍ صياغةَ الفكرةِ أو الأفكار الرئيسة التي توصَّلْنا إليها بصددِ موضوعِ التفكير.

وثمةَ مهارةٌ أخيرةٌ ترتبطُ أيضًا بالتفكير وهي القدرةُ على تطبيق الأفكار وتحويلِها من أفكارٍ مجرَّدةٍ إلى واقع ملموس توصَّلْنا إليها عن طريقِ الملاحظةِ والتصنيفِ والتفسير، إلى صياغةِ حلول للمشكلة موضوع التفكير.

إنَّ التطبيقَ يعني هنا استخراجَ القوانينِ والمفاهيمِ والمبادئ والنظرياتِ التي سبقَ أنْ توصَّلْنا إليها للتعامل مع أيِّ موقف جديدٍ نتعرض له، أو لدراسةِ أيِّ مشكلةٍ جديدةٍ من داخلِها[1].

وهُنا يبرزُ سؤال مُهمٌّ: ما علاقةُ الفلْسَفةِ بالحياةِ والتفكِيرِ؟

ولعلَّ الإجابةَ عن هذا السؤال تجعلُنا نقرِّر أوَّلًا أنَّ التفكير – رغم تعدُّدِ أنماطه وتطبيقاته – يشتملُ حتمًا على بُعدٍ فلسفيٍّ واضحٍ؛ لأنه ما إنْ يُعمِل المرء عقلَه في تأمُّل أيِّ موضوع، أو في محاولة حلِّ أي مشكلةٍ، فهو هنا يبدأ التفكيرَ الفلسفيَّ، أيْ: يبدأ في التفلسفِ.

ويختلفُ نمطُ التفكير الفلسفيِّ الذي يمارسُه تبعًا للغاية التي يريدُ تحقيقَها أو للهدفِ الذي يريدُ التوصُّلَ إليه، فإن كانَ الهدفُ حلَّ مشكلةٍ حياتيةٍ، فهو هنا يمارسُ تفكيرًا فلسفيًّا عمليًّا، وإن كان الهدفُ التوصُّلَ إلى حلِّ مشكلةٍ علميةٍ فهو يفكِّر تفكيرًا فلسفيًّا علميًّا، وإن كان الهدفُ التوصُّلَ إلى حقيقةِ أيِّ موضوع مجرَّد، مثل الحرية والنفس والألوهية.. إلى غيرِ ذلك، فهو يفكِّر بطريقةٍ فلسفيةٍ نظريةٍ مجرَّدةٍ، وهذه هي أعلى درجات التفكير الفلسفيِّ حينما ينتقل المفكِّرُ بعقلِه الواعي منْ محاولة تفسير أيِّ شيء أو أيِّ ظاهرةٍ، أو حلِّ أيِّ مشكلةٍ تنتمي إلى هذا الواقع المشاهَدِ من حولنا، إلى التفكير في أيِّ موضوع لا وجودَ له في هذا الواقع، وله صفةُ التجريد والعمومية، إنه الانتقال من الفلسفةِ العمليَّةِ أو العلميَّةِ إلى الفلسفةِ النظريَّةِ.

إذن فكلٌّ منَّا طالما استخدم عقلَه الواعيَ في التفكير أو في التأمُّل المجرَّد فهو يمارسُ التفكير الفلسفيَّ، فهل منَّا ـ إذنْ ـ من لم يفكِّرْ بطريقةٍ فلسفيةٍ يوميًّا؟! وهل منَّا من يستطيعُ أن يتجنَّبَ ـ عن عمْدٍ ـ هذا النَّمطَ من التفكير الفلسفيِّ الواعي؟! وهل منَّا من يستطيعُ أنْ يستغنيَ عن هذا النمطِ من التفكير حتى في حياتِه اليومية؟! وإنَّ مهاراتِ التفكيرِ الفلسفيِّ كثيرةٌ ومتنوعةٌ وهي تمثِّلُ آليَّاتِ التفلسُف، ولا ننسَى أنَّ كلًّا منَّا لديه بعضُها ويستخدمُها دونَ

(١) المرجع السابق، ص٩.

أنْ يعيَ ذلك بوضوح[١].

إنَّ التفكير الفلسفيَّ هو النمط الفكريُّ الوحيدُ الذي يميِّزُنا عن غيرنا من هذه المخلوقاتِ، ويجعلُنا قادرين على عمارةِ الأرضِ، وتطويرِ حياتنا عليها بشتَّى الصُّور، إنه ببساطةٍ هو ما يحقِّقُ ماهيَّةَ الإنسان، فكيف لمن يُدعى إنسانًا أنْ يخشى أنْ يكونَ نفسَه؟![٢].

وقد ظلَّ"أرسطو" ـ بمنهجِه وبكتاباته العلميَّة والفلسفية التي كانتْ بمثابة التأسيسِ الأوَّل للعلوم المختلفة من علم المنطقِ مرورًا بعلومِ النفسِ والحيوان والنباتِ وانتهاءً بالفلسفةِ وعلومِ الأخلاق والسِّياسة ـ مسيطرًا على الفكرِ الإنسانيِّ لأكثرَ من عشرين قرنًا تاليةٍ، إلى أن نجحَ فلاسفةُ العصر الحديثِ بَدْءًا من" فرنسيس بيكون" و"ديكارت" في تجاوزه بابتداع مناهجَ جديدةٍ في التفكير العلميِّ بعد نقدِ منهجِه وخاصَّة في صورته المدرسية الجامدةِ التي كبَّدَتْ تطوُّرَ الفلسفة والعلوم ردْحًا طويلًا من الزَّمنِ.

ولقد قدَّم "بِيكونُ"[٣]رؤيتَه لمنهج علميٍّ جديدٍ تقدمتْ بفضلِه العلومُ الطبيعةُ، لأنه استندَ ببساطة على البدْءِ بمشاهدة وملاحظةِ الظواهرِ الطبيعيةِ، وتسجيل الملاحظات عنْها، ثم تفسيرِها من خلال تصنيفِ هذه الملاحظات، واستبعاد الفروضِ غير الصحيحةِ في تفسير هذه الظاهرةِ أو تلك، ثم تفسيرها من خلال الفرض الذي تؤكِّدُه مجموعةُ الملاحظات التي سجَّلْناها عن الظاهرة ذاتها، لقد نجح "بيكونُ" ـ إذن ـ في كتابه «الأورجانون الجديد» في تقديمِ صورةٍ أُولى للمنهجِ الاستقرائي الذي ستتقدَّمُ بفضلِه العلومُ الطبيعيةُ ذاك التقدُّمَ الهائلَ الذي شهدْناه منذُ مطلع العصرِ الحديثِ ، ولقد كشفَ "بيكونُ" بمنهجِه الاستقرائيِّ الجديدِ ـ الذي شاركه في الكشْف عن الكثيرِ من عناصرِه "جون ستيوارت ميل" ـ في التنبُّؤ بصورةِ المستقبل على الصعيدِ العلميِّ، وماتَ وهو يدشِّنُ صورةَ هذا المستقبل أثناءَ إجرائه إحدى التجاربِ المهمَّة في استجلاءِ حقيقة أنَّ البرودةَ الشديدةَ تحفظُ اللُّحومَ من التعفُّن وهيَ فكرةُ الثلاجةِ التي ننعَمُ بها حتَّى الآنَ.

وعلى الجانبِ الآخرِ نجح الفيلسوفُ "ديكارت"[٤]في نقدِ فلسفاتِ عصره، وكشَفَ عن

---

(١) المرجع السابق، (ص ٩).
(٢) المرجع السابق، (ص١٠).
(٣) فرنسيس بيكون (١٦٥١ ـ ٦٢٦١) فيلسوفٌ إنجليزيٌّ ومؤسسُ المادية الجدلية والمنهج التجريبيِّ وناقدُ المنطق الأرسطي، وصاحبُ رسالة " الأورجانون الجديد " وكان يعتقدُ أنَّ التعلم هو ما يكشف العلل الخفيَّة للأشياء وينبغي أن يكونَ إدراكًا عقليًّا لوقائع التجربة، وأن ذلك هو ما يخلص العقل من العادات السيئة أو ما يسميه الوسائط البديهية. يودين روزنتال: موسوعة الفلسفة (ص ٩٩).
(٤) رينيه ديكارت (٦٩٥١ ـ ١٦٥٠) فيلسوف فرنسيٌّ وعالمٍ رياضيٌّ والذي تمكن من إعادة بناء العلوم الحديثة والفلسفة الحديثة ولقبه عصره بأبي الحداثة، كما أنه الذي أكد على أن الغاية القصوى من المعرفة تحكُّم الإنسان في قوى الطبيعة وإدراك العلل ومن أهم كتبه " مباديء الفلسفة. يودينروزنتال: موسوعة الفلسفة، مادة: ديكارت، (ص ٢٠٩).

جمودِها معلنًا منهجه الفلسفيَّ الجديد الذي يبدأُ بالشكِّ وإفراغ الذهن من كلِّ ما فيه عبرَ الشكِّ، ثم البدءِ في التوصُّل إلى الحقائقِ واحدةً تلْوَ الأخرى باستخدامِ العقل الواعي حدْسًا واستنباطًا، لقد قدَّم ديكارت بفلسفته العقلية تلك صورةً أوليةً ونموذجًا احتذاه فلاسفة كثيرون بعده ليدشِّنوا عصرًا جديدًا من الفكْرِ في أوروبا والغرب هو عصرُ العقل ، ونضيف إلى إشارة أخرى ونبرز دور التفكير الفلسفي في نشأة هذه المناهج التي كان لها دور في تغيير وتطوير التفكير العلمي في التاريخ الحديث والمعاصر.

لقد أصبحَ العصرُ الحديثُ عصرَ العقل وعصرَ العلم في آنٍ معًا بفضل ريادةِ المذهب العقليِّ الجديد لـ "ديكارت"، والذي تتلمذ عليه الكثيرون، والرؤيةُ المنهجيةُ العلميةُ الجديدة التي قدَّمها "بيكونُ" وعمَّقها وتتلمذ عليها العديدُ من الفلاسفة في الفكر المعاصر؛ وما الفلسفة التنبؤيَّة واستشرافُ المستقبل إلا صورةٌ لقدرةِ التفكير الفلسفيِّ على الاندماج مع الحياة والناس، والتي تتجلَّى بحقٍّ في فروع الفلسفة الجديدةِ، وفي المقابل ما يتجلَّى بحقٍّ في فلسفة العلوم وخاصَّةً في فلسفة التاريخ، وفلسفةِ الحضارة، وفلسفةِ البيئة وغيرها من الفروع المستحدَثة في الفلسفة، والتي قامتْ لتنقُدَ نتاج التقدُّم الذي حقَّقتْهُ البشريةُ في القرنين الأخيرين، وتحذِّرُ من مخاطرِه في المستقبل سواءٌ على البيئة الطبيعية التي يحيا فيها الإنسانُ أو على الإنسانِ نفسِه الذي تحوَّل بفعل الاعتماد على الآلة، وزيادة الاعتماد عليها إلى مجرَّدِ كائنٍ قد تدمِّرُه اختراعاتُه، وتقضي على ملكَاته الإبداعيَّة في المستقبل القريب.

لقد قام فلاسفةُ البيئة المعاصرون، وكذلك فلاسفة الأخلاق المعنيُّون بمستقبل البشرية بإطلاقِ الصَّيحاتِ التحذيرية من الاتجاهاتِ المعاصرة للتقدُّم التِّقنيِّ والعلميِّ المدمِّر، فالخطرُ على الإنسان ومستقبلِه ليس مقصورًا على القنابل الذَّرِّية وتوابعِها ونظائرِها، بل إنَّ الأخطرَ منها يكمُنُ في مواصلةِ الأبحاثِ العلميَّةِ في مجال الهندسةِ الوراثيَّةِ، والاستنساخ، والتكاثرِ اللاجنسيِّ... إلخ، وإذا كانَ فلاسفةُ الأخلاق وفلاسفةُ البيئة المعاصرون قد أطلقوا صيحاتِ التحذيرِ بشأنِ مستقبل التقدُّمِ العلميِّ محاولين توجيهَ البحثِ العلميِّ لخدمةِ الإنسانِ بدلًا من الإضرارِ به وبالبيئة التي يعيشُ فيها، فإنَّ فلاسفةَ التاريخ والحضارةِ قد أطلقوا التحذيراتِ بشأنِ المستقبل من جانبٍ آخرَ؛ إذ إنهم اكتشفوا أنَّ حضارتهم الغربيةَ تتَّجهُ إلى الاضمحلال والزوال نتيجةَ هذا التركيز على التقدُّمِ العلميِّ بصورتِه الماديةِ التِّقنية دون الاهتمامِ بالجوانبِ الأخلاقيَّة والدينيَّة ومن خلال ذلك النقدِ الذي قدَّمه على سبيل المثال فلاسفةٌ من أمثال "شبنجلر" و"شفيتسر" و"توينبي" تنبَّأ الأوَّلُ والأخير بزوال الحضارةِ الغربية، وحدَّد "توينبي" صورةَ المستقبل بدقَّةٍ حينما تنبَّأ بأنَّ الدورةَ الحضارية القادمةَ ستسُودُها دولُ شرق آسيا بقيادةِ الصين، وهذه صورةٌ لثمرة التفكير الفلسفيِّ والتنبؤيِّ خاصةً والتي هي مهمَّةُ الفيلسوف الحقِّ.

وهكذا يقرأُ الفلاسفةُ المستقبل لصالح الحاضر والمستقبل معًا، فقد تقرأ المستقبل لتحذرَ من كوارثَ يمكنُ تجنبُّها فورًا، وقد تقرأ المستقبلَ لتُعِدَّ نفسَك ومجتمعَك ومعاصريك لتحدياتِه، ولتنجحوا في التغلُّبِ عليها وللمشاركةِ الإيجابيَّةِ في أحداثِه، وفي كلِّ الأحوال فإنَّ اكتسابَك لمهارةِ التنبُّؤ وقراءةِ المستقبل مسألةٌ مهمَّةٌ للاستفادة من الدرسِ الفلسفيِّ في حياتِنا العمليَّةِ والفكريَّةِ على حدٍّ سواءٍ[1].

(١) مصطفى النشار: "التفكير الفلسفي..."، (ص ٢٧٤).

المبحثُ الثاني :التَّفكيرُ الفلسفيُّ وأبعادُه الأخْرَى

تمهيد:

يذهبُ "كارل ماركس" إلى أنَّ الفلسفةَ يجبُ أنْ تُعبِّر عن عصرها باعتبارها تتولَّدُ عن ذلك العصر، أمَّا الضَّربُ في الآفاقِ البعيدة التي ليس لها مِساسٌ بالعصر فلا يعتبرُ ذلك فلسفةً، إنَّ الفلاسفة لا يخرجون من الأرضِ كالفِطْرِ، بل إنهم ثمرةُ عصرِهم وبيئتِهم ؛إذ في الأفكار الفلسفيَّةِ تتجلَّى أدقُّ طاقاتِ الشعوبِ وأثمنُها وأخفاها، فالفلسفةُ ليستْ خارجةً عن الواقع، وبما أنَّ كلَّ فلسفةٍ حقيقيةٍ هي زُبدةُ زمانها، فلا بدَّ أنْ يحينَ الوقتُ الذي يكونُ فيه للفلسفة عقدٌ مع واقع عصرِها، وعلاقاتٌ متبادلةٌ بينها وبين هذا الواقع لا من الداخل فقط من حيثُ محتواها، بل وأيضًا من الخارج من ناحيةِ مظاهرها وعندها لن تعودَ الفلسفةُ تضاربًا بين المذاهبِ بل مجابهةً للواقع أي: فلسفةَ العالم الحاضر،فإذا لم يهضمِ الأفرادُ المنعزلون الفلسفةَ الحديثةَ، ويهلكونَ لسوءِ هضمٍ فلسفيٍّ، فليس ذلك دليلًا ضدَّ الفلسفةِ، كما أنَّ الضَّرر الذي يلحقُ بعضُ المارَّةِ من جرَّاءِ انفجارِ آلةِ تسخينٍ لا يُعدُّ دليلًا ضدَّ علمِ الميكانيك.

البُعْدُ الأوَّلُ: اليوميُّ في الفلْسَفةِ فهْمًا وتغْييرًا

لما وجَّهتِ الفلسفةُ نفسَها لدراسةِ الوجود وجعلتْه موضوعَها الأسمى، تمكنتْ من بناءِ مختلفِ العلوم التي نعرفُها إلى الآنَ والتي استقلتْ بالتدريجِ، وصارت هذه العلومُ اليومَ صُروحًا معرفيَّة، ونتائجُها لا تخفى على أحدٍ، ومستقبلُها أمامَه فتوحاتٌ علميَّةٌكبرى قد لا نعرفُ اليوم مداهَا. ولكن هل يعني أنَّ الفلسفةَ بتطوُّر علومِها التي استقلَّتْ عليها قد حقَّقتْ غايتَها. بالطبع لا يكون الجواب إلا بالنفي ؛ لأنَّ جميعَ العلومِ ـ مجتمعةً ـ لا تكفي لمقاربة المسألةِ الأهمِّ في الفلسفةِ ألا وهي مسألةُ الوجودِ؛لأنَّ مسألةَ الوجودِ تبقى المسألةَ الأهمَّ والأسمى لكونها الاسمَ الجامعَ للمعلومِ الأسمى الذي لا تزالُ الفلسفة تحيطُ به بحثًا دونَ أنْ تدركَ معناه وكنهَه ، والقارئُ لتاريخ الفلسفة يلمحه بوضوحٍ من عهدِ"أفلاطون" إلى "هيجل" الذي قيل عن نسقِه إنه نسقُ الأنساق. بل ربما إلى اليوم أيضًا مع المدارس الفلسفيةِ المعاصرة وخاصَّةً منها المدارس الفينومينولوجية ومناهجَها التأويليةَ المتعدِّدةَ التي تأسَّستْ منذُ" هوسرل"[1] إلى اليوم.

---

(١) إدموند هوسرل (Edmund Husserl): (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨)، فيلسوف وعالم رياضيات ألمانيٌّ ومؤسس مدرسة الفينومينولوجيا (الظاهريات) بالقرن العشرين، وهو مذهبٌ فلسفيٌّ يقوم على أساس أنَّ ظواهر الوعي أو المعطيات المباشرة، والتي تتمثل في أفعال الفكر، يجب أن تكون محلَّ الاهتمام الأوَّل من جانب الفلاسفة، وعليهم ألا يقوموا بإصدار الأحكام على تلك الظواهر، وهو ما يُعرف بـ"مبدأ تعليق الحكم". (انظر: يودين روزنتال، الموسوعة الفلسفية، مادة: هوسرل، ص٥٦٣.

ولا شكَّ أنَّ محاولاتِ الفلسفةِ هذه وغيرها للفهمِ وفهْمِ الفهمِ لا تزالُ متواصلةً قصدَ إدراك كنْهِ الوجودِ عمومًا، والوجود الإنسانيِّ خصوصًا، وانَّ محاولاتِ الفهم المتواصلةِ لخَّصها الفيلسوفُ "كارل ماركس" بقوله: "رأى الفلاسفة فى كلِّ العصور أنَّ هدف الفلسفةِ هو تفسيرُ العالم، ولكنَّنا نرى أنَّ هدفَ الفلسفة هو تغييرُ العالم"(١).

وواضحٌ من خلال تعبير "ماركس" أنَّ مهمةَ الفلسفة ليس تصوُّرَ ما هو كائنٌ فى العالم، وأنَّ ما هو كائنٌ هو العقلُ نفسُه أو الروحُ حسبَ تعبير أستاذِه "هيجل" الذي بنى فلسفةً تمشى على رأسِها كما يرى "ماركس"، وأنها فلسفةٌ روحانيةٌ صوفيةٌ تحلِّق فى السماء عاجزةً عن الفعل الحقيقيِّ فى العالم والواقع، وبالتالى هى فلسفةٌ عاجزةٌ عن تغيير العالم والواقع ، فصحيحٌ أنَّ " هيجل" تمكَّنَ من الكشفِ عن القوانين الكلِّيةِ الفاعلة فى العالم وهى قوانين الجدل، إلا أنَّ هذه القوانين لم تقدِّمْ للإنسان العارفِ بها ـ أي: الفيلسوفِ ـ أيَّ فاعليةٍ وقدرةٍ واقعيةٍ للفعل والتأثير.

يجبُ أن نجعل الفلسفةَ تمشى على قدميْها، وأنْ نحوِّل قوانين الجدل المثاليِّ إلى قوانين الجدل الماديِّ، وعندها ستمدُّنا هذه القوانين: أدواتِ الفهم والتفسير من جهة، وأدواتِ الفعل والحركةِ والتغيير من جهةٍ أخرى. وهو ما حدثَ فعلًا حين تمكَّن "كارل ماركس" مع صديقِه "إنجلز" من إعادةِ صياغةِ فلسفةِ " هيجل" صياغةً مادِّيةً، وقدَّم لنا تفسيرًا ماديًّا لحركة الواقع الماديِّ، وقدَّم لنا شروطَ الفعل فيه وتغييره، فنشأَ على يديه ما عُرف فى تاريخ الفلسفةِ الماركسية بالحركاتِ الثَّورية الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والسياسيَّةِ، وبالتالى حركة الأفكار وتغييرها ، ويرى الباحث أن هذه الحركة – ولو أنها اجتماعية سياسية – ربما لا علاقة لها بالتفكير الفلسفى، إلا أن نتائجها ساهمت فى تثوير الفلسفة وجعلها ثورة تسهم فى تغيير الوعى، وهو على حد تعبير ماكس : "ليس وعْىُ الناس هو الذي يحدِّدُ وجودَهم، بل على العكس من ذلك، وجودُهم الاجتماعيُّ هو الذي يحدِّدُ وعيَهُم"(٢).

هذا هو قانونُ الحركة عند "ماركس" حركة التغيير لا تنطلقُ من وعْى البشر كما هو سائدٌ عند أغلب الفلسفات والمفكِّرين بشكل عامٍّ ؛ لأنَّ الوعىَ والفكرَ فى حقيقتهما ليسا إلا انعكاسًا للوجودِ الاجتماعيِّ، وليس العكسُ كما تصوَّر" هيجل" قبلَه. واذا كان الوجودُ الاجتماعيُّ هو المحرِّكُ لكلِّ تغيرٍ اجتماعيٍّ، فإنَّ دورَ الفلسفة يسهم في أن يتوجَّه إلى الواقع

---

(١) كارل ماركس. أطروحات حول فيورباخ ١٨٤٥. الفقرة ١١. راجع: Karl Marx, Les, Theses sur Feuerbach, Georges Labica, Syllepse, 2014.

(٢) ماركس وأنجلس، الإيديولوجيا الألمانية. طبعة فاليمار ص ١٣١. دون تاريخ.

الاجتماعيِّ، والكشفِ عن آليَّاتِه الاقتصادية التى تحركُه ، وقد جسَّم "ماركس" هذا التصوُّرَ الواقعيَّ والماديَّ من خلال نقدِه للاقتصادِ السياسيِّ الكلاسيكيِّ أي: الاقتصادِ الرأسماليِّ وتحليل آلياتِ فعلِه تمهيدًا لحركة ثورية تُعلى من شأن البروليتاريا ـ أي: ثورة العمال ـ وبناءِ المجتمع الاشتراكيِّ كمرحلةٍ تمهيديةٍ ستؤدِّي ضرورةً ـ ضمن إيمان بحتميَّةٍتاريخيةٍ ـ إلى تحقيق الثورة الشيوعيَّة، وانتهاءِ الدولة نهائيًّا ، بقطع النظرعن الطابع الإيديولوجيِّ الذي سيطرَ على التوجُّهِ الماركسيِّ، فإنَّ الرؤيةَ الماركسيَّةَ ـ وقتَها ـ كانتْ رؤيةً معاكسةً ومغايرةً للرؤية المتعالية عن الإنسان الحقيقيِّ الفعليِّ الحيِّ الذي يحيا داخلَ واقع موضوعيٍّ، يحكمُه قانونُه السياسيُّ والاقتصاديُّ، وتسُودُ فيه أفكارُه وأشكال وعيه، لقد نجح "ماركس" على الأقلِّ فى جعل العمَل الفلسفيِّ مرتبطًا بالإنسانِ الحيِّ الفعليِّ وليس الإنسانَ الفكرةَ الذي سادَ تاريخَ الفلاسفةِ.

تأكَّد لنا من خلال التَّجربة الماركسيَّةِ فى رؤيتِها الفلسفيَّة أنَّ الفلسفةَ متَّجهةٌ بجميع مناهجِها إلى الواقع الفعليِّ للحياة الإنسانيَّة، واذا كانَ التوجُّهُ الماركسيُّ مرتبطًا عُضويًا بهذه الممارسةِ الضيِّقة لفعل التفلسُف أي: الممارسةِ الاجتماعية المتَّصلة بحركةِ الواقع وتغيراتِه التاريخيَّة من جهةٍ، والثوريَّة من جهةٍ أخرى، ويرى الباحث أن هذه الفلسفة الماركسية تهمل فى الإنسان معناه ، وتتجاهل متطلباته الروحية التى لا يكون الإنسان إنسانا إلا بها ، فقد حولته هذه الفلسفة فى الحقيقة إلى آلة لها متطلباتها الجسدية المادية حتى أبعدت الإنسان عن أهم ما فيه، ولكن **ماذا نعني بالحياةِ اليوميَّة منْ وجهةِ نظرٍ فلسَفيةٍ؟**

إنَّ عودةَ الفلسفةِ إلى السؤال السقراطيِّ الأوَّل، واستفادتَها من ابتعاد الميتافيزيقا ونقدها مع أعمال "هيوم"، و"كانط"، والفلسفة الوضعية، والوضعية المحدثة أيضًا وغيرها من المحاولات قد غيرتْ وجهةَ الفلسفة اليوم، وكأنها بهذا أعادت الفلسفةَ من السَّماءِ لتُسكنَها الأرضَ من جديدٍ وما قام به" ماركس" حين أعادَ الفلسفة إلى قدمَيْها بعدما كانت تمشي على رأسِها مع "هيجل" ليس ببعيد.

إنَّ الفلسفةَ ـ اليومَ ـ أعادت اكتشافَ نفسِها الجوهريةِحيثُ أعادتْ توجيهَ نظرِها إلى الإنسان الفعليِّ في حياته اليوميَّة. يقول الدكتور فتحي التريكي في مطلع كتابه "فلسفة الحياة اليومية": "أريدُ أنْ أتناولَ بالبحث إشكاليَّةَ علاقةِ الفلسفةِ الحاليَّةِ بالواقع المعيش، ومطْمَحُنا في كلِّ ذلك هو التأكيدُ على ضرورة التفكير الملِحِّ في مجتمعنا الحالي، تلك التي هيمنَتْ عليها النظرياتُ الإقْصائيةُ التي ترتدِي تارةً ثوبَ التكنولوجيا، مؤكِّدةً أنَّ الفلسفةَ ما هي إلا أضغاثُ صالوناتٍ، وتارةً أخرى ثوبَ التديُّنِ لتُعلنَ أنَّ الفكرَ الفلسفيَّ يُعادِي في كُنهِه الإيمانَ"، فالحياةُ اليوميَّةُ هي موضوعُ الفلسَفةِ اليوم، هي اللامُفكَّر فيه في تاريخها وعودتها

إليه ولعلَّ هذا البعدَ الجديدَ والمهمَّ للفلسفة اليوم هو الذي جعل الإنسانَ بمختلفِ توجُّهاته وتنوعاتِه العَقَدية والسياسية والإيديولوجية وغيرها يمثِّلُ الموضوعَ الأسمى للفلسَفة. ولعلَّ هذه العودةَ للبُعدِ الآخرِ للفلسفة الذي كانَ مُغيَّبًا في تاريخها هو الذي جعل الفلسفةَ في نظرياتها المعاصرة وجعل التفلسفَ أكثرَ خطورةً وأكثرَ جدْوى، لأنَّه صار أكثرَ قُربًا من الحياة الفعلية وليس من فكرة الحياةِ أو فكرةِ الإنسان التي سادت قديمًا، فماذا نعني بالحياة اليوميَّة فلسفيًّا ولماذا أمكنَ لي أنْ أعتبرها البعدَ الآخر في الفلسفة؟

منذُ تاريخ الفلسفة الأوَّل ونحنُ نحملُ الدَّرسَ الأفلاطوني المستفادَ من التجربةِ السُّقراطية، وهو درسٌ عميقٌ يميِّز بين نمطَيْن من الفلاسفةِ أو الفلسفات، بين الفيلسوف الحقِّ والفيلسوف الباطل .

وقد استفاد الفارابيُّ من هذا التقسيم، وعمَّق تحليل هذين النَّمطيْنِ، وأعاد تحليلَ التقسيم الأفلاطوني في اتِّجاهٍ رسمَ ملامحَ الفيلسوفِ الحقيقيِّ، فيلسوف المستقبل وكيف يمكنُ تربيتُه وإعدادُه، فميَّز بينَ الفلسفة الحقَّةِ والفلسفة البتراءِ، والفيلسوف الحقِّ وفيلسوفِ الزُّورِ، وجعل من العلم النظريِّ أساسًا في البحث والتفكير والفضيلة أساسًا في العمل والسلوك[1] ، وإذا استعملْنا التقسيمَ الأفلاطونيَّ للفلسفات والفلاسفة، والتقسيمَ الفارابيَّ له أيضًا يمكنُ أنْ نُعيدَ طرحَ السؤال اليوم من جديدٍ ما الفلسفة الحقَّة؟ ومن هو الفيلسوفُ الحق؟ وما الفلسفةُ البتراءُ؟ ومن هو فيلسوفُ البُهْرجُ وفيلسوفُ الزُّور؟

الجوابُ الذي أراه مناسبًا في عصرِ الفلسفةِ الحاضر مرتبطٌ بالدَّوْرِ الذي يمكنُ أنْ تضطلعَ به الفلسفةُ اليومَ لخدمة الإنسانِ والحياة، ولذلك أرى أنَّ الربطَ بين قولي الفلسفة الحقيقية أو الحقَّة، وفلسفةِ الحياة اليوميةِ أو فلسفةِ المعيشِ، ربطٌ مهمٌّ جدًّا لكونه يحققُ للفلسفةِ غاياتِها الأولى وهي السَّيرُ في اتجاهِ الحكمةِ، وللإنسان غايتَه وهي تحقيقُ سعادتِه. وكيفَ يمكنُ للإنسانِ اليوم تحقيقُ سعادتِه أو السَّيرُ في طريقِها والعولمةُ الاقتصاديةُ والتكنولوجيةُ والسياسيةُ والتربويةُ والماليةُ وغيرها تسيطرُ على كلِّ وجوهِ الحياةِ في المعمُورةِ؟ حسبَ تعبيرِ الفارابي.

ولتناول مسألةِ الحياة اليومية في الفلسفة من الضروري الوقوفُ على دلالة اليوميِّ الذي أضْحَى من المفاهيم الرئيسةِ في الفلسفةِ المعاصرةِ، وقد تُحيل كلمةُ اليوميِّ إلى: الرَّتابةِ، والاجْترارِ، والانغلاقِ، والخمول، والكسَل الفكريِّ، والرِّضا بالجاهز والتسليمِ به، فالواقعُ اليوميُّ

(١) الفارابي. كتاب تحصيل السعادة وكتاب التنبيه على السعادة، الطبعة الأولى، دار الوراق ٢٠١٧.

هو العالم، وهو متشكِّلٌ في نظام يقومُ على المعاودة والتشابه، ولهذا يشمل "اليوميُّ" كلَّ مستوياتِ حياتنا، ويمتدُّ إلى كلِّ أبعاد وجودنا، كما يتعلق بمأكلنا، وملبسنا، وأقوالنا، وأفعالنا، ورؤيتنا للأشياء، وهو حاضرٌ فى الأخلاق، والمعتقداتِ، والسِّياسة، والاقتصادِ، والإشهار، والترفيه، بل إنه مرادفٌ للمألوف الذي يجري على الوتيرةنفسِها، ولذلك فهو قابلٌ للتوقُّع، فما حدث أمس يحدثُ اليومَ وسيحدث غدًا وبعدَ غدٍ بلا مفاجآت ولا تقطعُ إلا على نحو عابر. وهذا يعنى أنَّ الفلسفةَ صارتْ تهتمُّ بالإنسان اليومىِّ أي: العادي وأحداثه ومشاغله اليومية المتكررة الخالية من المعنى الحقيقى الذي يهمُّ الإنسانيةَ فى عمومها، وبتعبير "بيير هنري فرانيي"P.HenryFrangne فى كتابه[1]Le Fragment et le quotidianطبعة PUF 2005 يُعرِّف اليومىَّ بقوله: "هو هذا المجموعُ المختلطُ المتلبِّدُ الذي نُسمِّيه الحياةَ اليوميةَ، وتتبدَّى هذه الحياةُ فى جوهرها متباينةً. فماذا نجدُ؟ نجدُ فيها أحداثًا فكريةً، وأشياءَ ووضعياتِ وعلاقاتِ تواصلٍ مع الآخرين، وكلماتٍ ومشاهدَ...الحياة اليوميةُ غيرُ قابلةٍ للحصر... إنها المشتركُ بين البشَر، إنها العادةُ، إنها طريقةُ العيش والوجود... وتتمثَّل الصِّفةُ المشتركةُ للحياةِ اليوميةِ ـ أيضًا ـ فى أنها لا شخصيةٌ أو نكرةٌ، مما يمنعُ الذاتية من إدراكِ وجودٍ أصيل وحرٍّ وأصليٍّ لأنها حياةٌ مرتبطةٌ بالأداتية والنفعيةِ، الحياة اليومية أفقٌ لا مرئيٌّ تتواصل فيه كلُّ الأشياء وكلُّ الأفراد، إنها تجمعُ كلَّ تجاربِ الإنسانِ الماضيةِ.

تقومُ الحياة اليوميةُ ـ إذا ـ على الرأي والاعتقادِ، بينما تعارضُ الفلسفةُ فى جوهرها هذين المصطلحَيْن منذ "أفلاطون" لأنَّ الرأيَ لا يفكِّر والاعتقادَ عائقٌ أمامَ التفكير؛ لأنه ظنِّيٌّ وذاتيٌّ، ويرى " أدورنو"[2]فى كتابه "نماذج نقدية: الآراء والأوهام والمجتمع" أنَّ الرأيَ يستحوذُ على ما تستطيعُ المعرفةُ بلوغَه لكى يقومَ بديلًا لها، فهو يُلغى بطريقةٍ مضلِّلةٍ الهُوَّةَ بين الذاتِ العارفةِ والواقع الذي يفلِتُ منها. واذا أضفْنا اليومَ التِّقنياتِ العديدةَ التى تتلاعبُ بالعقول وتصنعُ الرأيَ، وتوجِّهُ الأذواقَ، والقراراتِ، والرؤى، والمواقفَ نفهم لماذا يمثلُ اليوميُّ أو الحياةُ اليوميةُ مُشكلًا للفلسفةِ أنْ توليَه عنايتَها ؛لأنَّه فعلًا الفضاءُ الفعليُّ الذي يعيشُه الإنسانُ من جهةٍ، ولأنَّه الفضاءُ الذي يحولُ دونَ بلوغ الحقيقةِ والحكمةِ. فالبرامجُ السياسيَّةُ والتوجُّهاتُ الأخلاقيَّةُ صارتْ تستَعْملُ هذا اليوميَّ لتبرِّرَ مواقفَها وبرامجَها وتجدُ فيه ما يحمي

---

(1) P. Henry Frangne Le Fragment et le Quotidien dans l'Art », Pôle National de Ressources Danse de Bretagne, CRDP de Bretagne, DRAC de Bretagne, janvier 2005, http://pierre.campion2.free.fr/frangne-fragment.htm

(٢) راجع عبد الغفار مكاوي: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي. مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٧، وفيه تحليل للمرجعيات النقدية في الفلسفة المعاصرة والتأكيد على البُعد الأهمِّ اليوم فيها تبيانًا لمنزلة الإنسان المعاصر وقيمتِه.

مصالحَها والحال أنها تتلاعبُ باليوميِّ، وتتَّخذُه مطيةً لتحقيق مآربها السُّلطويةَ ماليًّا، وسياسيًّا، وأخلاقيًّا، ودينيًّا فمؤسساتُ الإشهار والإعلامِ، والتعليمِ، والشركاتُ الماليةُ الكبرى، ومراكزُ البحوثِ أعادتْ توجيهَ اهتماماتها من سياق البحثِ عن الحقِّ إلى سياقِ صناعةِ الرأيِ للتحكُّم في الواقع واستعماله.

لهذه الأسبابِ وغيرها على الفلسفةِ أنْ تهتمَّ باليوميِّ لفهمِه وتحريره من أدواتِ السُّلطة التى تعبثُ به وتستعملُه، ولهذا أيضًا صارت الفلسفةُ وبسببِ قربها من اليوميِّ محلَّ نقدٍ سلبيٍّ من طرفِ أجهزة السلطةِ الماليَّة والدينيَّة والسياسيَّة؛ لأنَّ غرضَ الفلسفة دومًا غرضٌ تحرريٌّ قُتل في سبيله "سقراطُ" لمّا أراد تحريرَ الشبابِ من خلال محاورتهم وإيقاظِهم.

يقولُ الدكتور فتحى التريكى: "لقد أصبحنا اليوم كلُّنا نتوجَّهُ إلى اليوميِّ لمعرفتِه ومساءلته واستخراج معانيه"[1]، وبتعبير إشكاليٍّ يُعبِّر التريكى عن إشكاليةِ الفلسفة واليوميِّ على النحو التالى: "هل يعنى أنَّ اليوميَّ قد دخل فجأةً مجال التفكير، فأكسبناه قيمةً لم يعتدْها من قبلُ، باعتبار أنَّ القيمةَ الروحيَّةَ والفكريَّة كانت تُعطى للأشياءِ التى نتأمَّلُها دون أنْ تكونَ لها درجةُ استعمال قُصْوى، أم يعنى ذلك أنَّ الإنسانية قد بدأتْ تفقدُ شيئًا فشيئًا قيمَها الروحيَّةَ الساميةَ، فالتجأتْ إلى العادي لتقديسِه حينًا وللإعجابِ به حينًا آخرَ؟[2].

إنَّ ما ترمى إليه فلسفةُ الحياةِ اليوميَّةِ هو إذكاءُ التنوُّع والاختلافِ أي: دعمُ فلسفة التنوُّع مقابلَ التوجُّهاتِ الأخرى التى تحاول اليومَ قتلَ التنوُّع باعتباره مخالفًا للحقيقة التى يجبُ أنْ تكونَ واحدةً، وبما أنَّ وراء التعصُّب للحقيقة عند كلِّ جماعةِ يوجدُ موقفٌ سلطويٌّ عنيفٌ يرفضُ كلَّ خروج عنها أو مغايرتها، وبما أنَّ الفلسفةَ اليومَ غيرتْ وجهتَها من البحث فى الحقيقة وتصوُّراتها إلى البحثِ فى المعنى وتعدُّدِه، لم تعُدْ تجدُ التوجهاتُ السُّلطويةُ أيَّ أساس يشرع لوجودها؛ لأنَّه بميلاد فلسفاتِ المعنى والتنوُّع صار الاختلافُ هو القيمةُ الأهمُّ فى الحياة البشرية، ونتج عن هذا سقوطُ العقائد وانتهاءُ عصر الأيديولوجيات التى كانت تحملُ نظامًا فكريًّا تعتقد أنه الحقُّ الذي يجب أنْ يحكمَ العالم وكما نعرف تاريخيًّا، لقد عرف العالم ويلاتِ هذا التعصُّب الإيديولوجيِّ الذي يبرِّرُ العنفَ والثورية والإقصاءَ، وبلُغَتِنا اليوم يبرِّرُ كلَّ تطرُّفٍ وإرهابٍ.

ولعلَّ البعدَ الآخرَ للفلسفة اليوم هو ميلُها للمعنى والتعدُّدِ ضدَّ الحقيقةِ والوحدةِ. والواقعيُّ والمعيشُ واليوميُّ ضدَّ المجرد والمتعالي... وبهذا صارت الفلسفةُ الأداةَ المثلى

---

(١) فتحي تريكي. فلسفة الحياة اليومية. الدار المتوسطية للنشر. بيروت تونس ٢٠٠٩. (ص ٥٧).
(٢) المرجع السابق (ص ٥٨).

المعبّرةَ عن الحياة الفعليَّة اليومية التي يعيشُها الإنسانُ، ومن ثَمَّ صارت الأقدرَ على فهمِه وتوجيهِه والفعل فيه فهمًا وتغييرًا.

ويرى الباحث أن السؤال الذي يمثل تحديا لهذا الطرح لدور الفلسفة فى الحياة اليومية ليكون هدفها هو التغيير وليس التفسير: ما الفرق بين أدوار كل من الفلسفة بهذا المفهوم وبين العلم الذي هو معنى بالأساس بتغيير العالم ؟ وهل يمكن أن تقام بينهما علاقة تكامل دون أن يكتنفها مفهوم المزاحمة ؟

البُعدُ الثاني: تغييرُ العقليَّةِ الذِّهنيَّةِ السَّابقةِ

تمهيدٌ:

إنَّ الفيلسوفَ_ وفق بعض الرؤى _ رغمَ أنه يبدأ تأمُّلاتِه من النظر في الواقع المعيشِ، إلا أنَّ الهدفَ لديه دائمًا هو ماذا ستكونُ عليه صورةُ المستقبل؟ أو ماذا ينبغي أن تكونَ عليه صورةُ المستقبل؟ فالمستقبل عنده هو الأهمُّ، فالحاضر دائمًا فيه من المشكلاتِ ما فيه، وفيه من الأمراض الفكرية، والسِّياسية، والاجتماعيَّة، والاقتصادية.. إلخ ما يقلقُ راحةَ الفيلسوف ويؤرِّقُه، وهو بعد إدراكه وقلقِه بشأنِ ما يعانيه عصرُه ومجتمعُه من أمراض ومشكلاتٍ وعوائقَ تعوقُ التقدُّمَ الإنسانيَّ في مختلف مجالات الحياة، يحاولُ استجلاءَ أسبابِ هذه الأمراض وتلك المشكلاتِ بهدف التغلُّبِ على هذه العوائق، وهو في إطار هذا الاستجلاءِ لصورة الحاضر وأسبابِ مشكلاتِه وأمراضِه عادةً ما يستعرضُ المذاهبَ الفكريةَ السابقةَ عليه والمعاصرةَ له لعلَّه يجدُ فيها سببًا من أسباب هذه المشكلات، أو لعلَّه يجدُ فيها حلًّا لهذه المشكلاتِ، وإنْ لم يجدْ فهو بلا شكٍّ سينقدُها ويتجاوزُها محاولًا وضعَ رؤيةٍ جديدةٍ صالحةٍ لنقل مجتمعِه وعصره من حال يسودُها الجمودُ والتردِّي إلى حال التقدُّم الفكريِّ والازدهارِ الحضاريِّ بوجْهٍ عامٍّ.

ماذا نقصِدُ بتغيير العقليَّة الذهنية السَّابقة ؟

يندرجُ حقيقةُ هذا المفهوم كبُعدٍآخرَ للتفكير الفلسفيِّ وهو المتعلِّق ضمنَ فلسفةِ العقل وهي إحدى فروع الفلسفة، وعلاقتها بالوعْي والوظائف الذهنيَّة والمتَّصلة بأعضاء الجسد وخاصَّة الدماغَ، وما الفكرُ إلا النتاجُ الأعلى للدماغ كمادةٍ ذاتِ تنظيم عضويٍّ خاصٍّ، ويمرُّ بتطوُّر معقَّد ويُسفرُ عن أشكال من النشاط العقليِّ مثل عملياتِ الإدراك الحسيِّ والتحليل واكتساب العادات كما قال ذكر "رزونتال" في موسوعته(١).

والحقيقةُ أنَّ فلسفة العقل تحتلُّ الآنَ مكانةَ «الفلسفة الأولى»، أي: الفرع الفلسفيِّ الذي يسبقُ منطقيًّا ويؤسس كلَّ ما عداه من فروع الفلسفة. قديمًا كانت الميتافيزيقا تحتلُّ هذه المكانة، لفترة بلغت قُرابةَ خمسةٍ وعشرين قرنًا من الزمان. لكنَّ فلسفةَ العقل ـ وهي واحدةٌ من الفروع في الفلسفةِ ـ استطاعت شَغْلَ هذا الحيِّز من الأهمية في السبعين عامًا الماضيةِ فقط، ولعلَّ الأسئلةَ بخصُوصِ العقل عمومًا من أصْعبِ الأسئلةِ الفلسفيةِ، وهي كذلك أسئلةٌ معقَّدةٌ بالنِّسبةِ إلى العلوم الحديثة، كالعلوم الإدراكيَّة، وعلومِ الأعصابِ، والحاسبِ الآليِّ والذكاءِ الاصطناعيِّ واللسانيات وعلمِ النفسِ بفروعِه المختلفةِ وهي ميدانٌ فلسفيٌّ مستقلٌّ له موضوعاتُه الخاصَّة وأسئلتُه النوعيَّةُ وأبحاثُه الخاصَّةُ.

---

(١) يودين روزنتال: الموسوعة الفلسفية، مادة: فلسفة العقل، (ص ٣٣٣) بتصرف.

لذا يؤرخُ أستاذُ الفلسفةِ بجامعة القاهرة صلاح إسماعيل بدايةَ فلسفةِ العقل من "غيلبرت رايل"[١] من خلال كتابه "مفهوم الذهن"، وكتابِ لـ«فيتغنشتاين»، لتتوالى بعد هذين العملَيْن الرائدينِ أوراقٌ بحثيَّةٌ ودراساتٌ تتناول موضوعَ العقل على طريقةِ البحثِ الفلسفيِّ والتي كانت في النصف الثاني من القرن العشرين.

كما تبلْوَرَ عددٌ من النظرياتِ الفلسفية والاتجاهات التي استفادتْ من العلوم الإدراكيَّة، والتي ترى العقل من عِدَّة جهاتٍ، فحاولتْ كلٌّ واحدةٍ من هذه النظريات حلَّ مشكلاتِ العقل وألغازه بطُرقِها الخاصَّة، واختلفتْ فيما بينها في مسائلِ فهْمِ ماهيَّة العقل وتكوينِه، والطريقةِ التي يعملُ العقلُ بواسطتِها ليتمثَّل الأشياءَ ويعرفَها، وطبيعة الوعى والحالات العقليَّة، والذي يهمُّنا فى هذا المبحث الوقوفُ على طبيعة العقل وهو "القوَّةُ المهيّأةُ لقبول العلم، وبه يَستنبِطُ العاقل" الأمورَ كما قال ذلك الزَّبيديُّ فى أحدِ تعاريفه[٢]،وعند ابن سينا لما يكتسبُه الإنسانُ بالتجاربِ من الأحكام الكلِّية فيكونُ حدُّه أنه من معانٍ مجتمعةٍ في الذِّهن تكوِّنُ مقدماتٍ يستنبطُ بها المصالح والأغراض"[٣].

وبالرغمِ من اختلاف الفلاسفةِ اليونان والمسلمين حول ماهيَّةِ العقل وطبيعتِه، إلا أنَّ ابنَ رُشدٍ يقسِّمُ العقول إلى ثلاثةِ أنواع:**الأوَّلُ:** العقولُ البرهانيةُ القادرةُ على متابعةِ دليل يقينيٍّ محكمٍ، وتصلُ إلى نتائجَ بيِّنةٍ ضرورية، وربطُ هذه الأدلة هو الذي يكوِّن الفلسفةَ، ولكنَّ هذا لا يتسنَّى إلا لقلَّةٍ من العقول الموهوبة، بالقدرِ الذي يجعلُها تُكرِّس نفسَها لها.

والثاني: عقولٌ منطقيَّة تكتفي بالبراهين الجدليَّة.

والثالثُ: العقولُ التي تستجيبُ للوعظِ والأدلَّةِ الخطابية، وهذه غيرُ مهيَّأةٍ لاتِّباع الاستدلال المنظَّم...[٤].

لذا ندركُ أنَّ العقل كما يبحثُ فى الميتافيزيقا وما وراء الحدْس مستخدمًا وسيلةَ التأمُّل أو الملاحظة، فإنه كذلك وسيلةٌ في الاستنباط من الحياة وواقعِها عن طريق المشاهدةِ

---

(١) رايل غلبرت: ١٩٠٠ فيلسوفٌ إنجليزيٌّ وواحدٌ من زعماء ما يُسمَّى بالفلسفةِ اللغوية وأستاذ بجامعة أكسفورد، ومهمَّة الفلسفةِ عنده هي مجردُ حلِّ المشكلات الناجمة عن الفهم القاصرِ لوسائل معرفتنا، وذهب" رايل" إلى أنه في عددٍ من الحالات سيختلطُ الأمرُ علينا نتيجة الشكل النحوي للتعبيير عن الأفكار وسيُفضي بنا إلى ما يُسمَّى بأخطاءِ المقولات من أشهر كتبه "مفهوم الذهن". (انظر: يودين روزنتال، الموسوعة الفلسفية، مادة: رايل (ص ٢٢٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٠/ ١٨)، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٣) الرسائل من كتاب الحدود لابن سينا (ص ٨).

(٤) شاخت وبوزرورث: تراث الإسلام ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري، القسم الثاني، سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٠٩، ولعل الباحث يرى أن هناك نوعًا ثالثًا وهو العقول التي لا تكتفي إلا بالجدل.

والتجربةِ وما الحياةُ إلا واقعٌ متغيِّرٌ، وكذلك العقلُ متغيِّرٌ فى طبيعتِه ومواقفِه سواءٌ استخدم البراهينَ، أو البحثَ المنطقىَّ، أو الأسلوبَ الجدلىَّ، حتى طرقُ العقل وأساليبُ تفكيره تتغيرُ وفقًا لآلياتِ الفهْم أو الخبراتِ السابقةِ أو الإدراكاتِ المتفاوتةِ، أو عن طريق عرض الأسئلة المنطقيَّةِ أو المفتوحة، لذا أدرك الفلاسفةُ أنَّ الحالاتِ العقليةَ مختلفةٌ عن تفسيراتها المادية، فدمجُ لونين مثلًا كالأصفر والأخضر يخضعُ العقل لنتيجة وتفسيرات متباينة كونها تعتمدُ ربما واقعًا حسبَ موجاتها الضوئيةِ، وسؤال هل يستطيعُ الإنسانُ أنْ يعملَ فى اليوم الواحد ٢٧ ساعة؟ أو هل يستطيعُ الإنسانُ أنْ يحقِّقَ ثروة في ٣٠ يومًا؟ أو هل يمكنُ أنْ يكونَ الصدقُ قبيحًا؟

من هُنا يأتى البُعدُ الآخرُ والمهمُّ فى التفكير الفلسفيِّ والذي يُسمى: "بتغيير نمطيَّة العقليةِ الذهنيَّةِ السابقةِ"«Paradigms Shifts» ومعنى هذا البُعدِ الفلسفيِّ يكمُنُ في غربلةِ رؤيةِ الإنسان لنفسِه وللكون والحياة، وفي المقابل تكمنُ في برمجةٍ جديدةٍ للعقل على آراء أو معتقداتٍ أو أفكارٍ نشأ وتربَّى عليها بشكل جديدٍ، وبرؤى مختلفةٍ، وبنمطيَّةٍ عقليَّةٍ جديدةٍ، محاولًا الخروجَ وعدمَ التبعيَّة أو التقليد لأيِّ رأي سابقٍ قبل وضعِه في مجهرِ العقل، وتحليلِه، والتعرفِ على صوابِه وخطئِه، وما مجالاتُ الفلسفة الثلاثةُ إلا بحثٌ مستمرٌّ حرٌّ مجردٌ في قضايا الوجودِ، والمعرفةِ، والقيم.

لذا يرى الباحثُ أنَّ فلسفةَ العقل مستمرِّةٌ في تناول مثل هذه الأسئلةِ ومثيلاتها مستفيدًا من التطوُّراتِ المتغيِّرة في الكونِ والحياةِ، وأساليبِ المعرفةِ والعلوم الإدراكيَّة، بالإضافة إلى التجاربِ الفكرية والتي تسْعى الفلسفةُ ومجالاتُ تفكيرها إلى رفع مستوى إدْراكِها وفهمِها، والدِّفاع عن مواقفَ معيَّنةٍ بها، والبحثِ في رؤى مختلفةٍ لها.

ويؤكدُ هذا المعنى سامي محمود إبراهيم قائلًا:"إنَّ الفلسفةَ تمنحُنا القدرةَ على المراجعة النقدية المستمرَّةِ لأعمالنا، ولمعارفنا، وقناعاتنا، وبهذا المعنى يكونُ للفلسفةِ أهميةٌ قصوى باعتبار الأهدافِ التي ترقى إليها، وهي لا تحملُ أغراضَها وفوائدَها في الموضوعاتِ التي تتناولُها، وإنما في تحقيق الأهدافِ المرجوَّةِ منها، باعتبار ممارستِها كمراجعةٍ نقديَّةٍ منظَّمةٍ ترتقي بالوعي إلى مستوى الوعي بالذَّاتِ من حيثُ تفهُّمُ الإمكانيات، وتجاوزُ الصعوباتِ وتنميةُ القدراتِ العقلية المختلفةِ. أهميةُ الفلسفةِ لا تُلتمسُ في مادتها، وإنما في تنميةِ العاداتِ الفكرية والملكاتِ الذهنية المرتبطة بطُرقِ تحليل المعلومة ونقدِها، والكشف عن مختلفِ علاقاتها و مستوياتِ تكوُّنها"[١].

---

(١) سامي محمود إبراهيم: "الفلسفة.. وفقه الواقع"، مرجع سابق.

ولعلَّ ما يأتي في سياق تنميةِ العادات الفكريةِ والملكاتِ الذهنيَّة اهتمامَ الكاتب "ستيفن كوفي"[١] بهذا البُعد فقد ضمَّنَ كتابه "العادة الثامنة" فصلًا سمَّاه:بـ«عصر الحكمة» تحدَّثَ فيه عما يجعل للعقل اتِّصالًا بالحكمة، وذلك من طريق تفاعُلِه مع العالم الحسيِّ والطبيعيِّ، والتي تندمجُ مع التغيرات الخاصَّة للعقل الإنسانيِّ، وفهمِ الشخصيَّة، وتطوير الملكات الذهنية فيقولُ: "إنَّ ما يمنحُ العقلَ من مهاراتِ البحثِ المستمرِّيرتبطُ بإمكاناتِ الأفراد، ومن خلال نمطِ ضربِ المثل[٢]، وخلقِ المسار[٣]، والتَّمكين[٤].

ويرى الباحثُ أنَّ هذا البُعدَ بمساراته يصنعُ التفكيرَ الفلسفيَّ، والذي يجعل من مهاراتِ العقل ذاتَ أفقٍ جديدٍ من خلال تدريب العقل ووضعِه في الحراك غيرِ التقليديِّ، وهو المعنى الذي حرصَ عليه "ستيفن كوفي" في آلياتِ تغيير نمطيَّة التفكير، والتي جعلها ضمن عصرِ الحكمةِ العمليةِ والنظريةِ والتي تتَّجهُ إلى طرق اكتسابِ المعرفة عن طريق طرح السؤال والتي سمَّاها "دوائر المعرفة"[٥].

ولعلَّ هذا ما يتَّسقُ مع طبيعةِ المعرفةِ وخاصَّةًالخَلْقِيةَ، والتي توجد ضمنَ المبادئ في العقل، والتي تتيحُ للبحث، والتحليل، والاستنتاج، والتجربةِ السابقةِ أهميةً كبرى، ولهذا ظهرت الصُّورةُ الأولى للتفكير العقليِّ عند" أفلاطون" في نظرية المعرفة، والتي سماها نظريةَ المثل أو الصُّورة، يقول هويدي في مقدمتِه موضِّحًا هذا المعنى: "ونظريةُ أفلاطون في الصور تقومُ على وجودِ عالمٍ ثابتٍ هو العالمُ المعقولُ، وهو فوق العالم المتغيِّر وهو العالم الحسِّيِّ، وهذه الصُّورُ الموجودةُ في العالم المعقول تتَّسمُ بالثبات والضرورة والكلِّية كالأحكام العقلية، وفي هذا الإطار سارَ"ديكارت" من خلال البداهةِ الرياضيَّة، والتي هي ما تنشدُها الفلسفةُ"[٦].

ويرى الباحثُ أنَّ نظريَّةَ الصُّور أو البداهة الرياضيَّة الطريقُ الذي من خلاله توجدُ النظرياتُ الرياضيَّةُ العقليَّةُ المختلفةُ التي تستطيعُ تغيير النمطيَّةِ الذهنيَّةِ السابقة للأفكارِ.

---

(١) أحد أهم المدربين والمفكرين الأمريكيين وصاحب كتاب "العادات السبع".
(٢) ضرب المثل: وهو إلهام الثقة من دون توقعها.
(٣) خلق المسار: من خلال وجود النظام دون طلبه.
(٤) التمكين: وهو انطلاق قدرات العقل دون تحفيز خارجي.
(٥) ستيفن أركوفي: العادة الثامنة من الفاعلية إلى العظمة، ترجمة ياسر العيتي، دار الفكر – ط١، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٣١٦.
(٦) يحيى هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، (ص ١٣٨).

1	2
$1,000	0.01
$1,000	0.02
$1,000	0.03
$1,000	0.04
$1,000	0.08
$1,000	0.16
$1,000	0.32
$30,000	?

وهذا المثال التطبيقيُّ يوضِّحُ نموذجًا من العالم الحسِّيِّ المتغير، وصورةً لما يمكنُه للعقل أنْ يغيِّرَه وفقَ آليَّةِ الفهْمِ والتحليل، كونها الصورةَ التي يتفاعلُ معها العقل، فلو وضعنا مثلًا لشخصٍ عقدين عمل لمدة ٣٠ يومًا فقط، وتمَّ استنطاقُ عقلِه في الاختيار، فإن اختارَ العقلُ ما يميل إليه " ديكارت" في تطبيق مبدأ البداهةِ الرياضيةِ، فإنه سوفَ يختار العقدَ الأولَ كونه ـ ربما ـ متوافقًا مع المنطقِ، وإذا اختارَ العقلُ المدركُ القائمُ على التحليل والتفكيرِ الغيرِ تقليديٍّ فإنه سوف يختارُ العقدَ الثاني كونه بعدَ عمليَّة التفكير وتغيير المنطقيةِ المسبقة، لأنَّه عقدٌ متراكمٌ ولو بدا أنه أقلُّ قيمةً من العقدِ الأوَّل ، وقيمته 10.387000 دولار

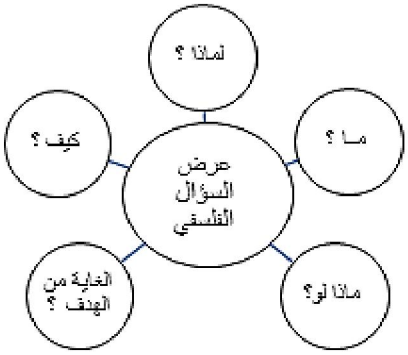

وهنا يتضحُ ما قاله الفيلسوفُ " برتراند راسل" بأنَّ التفكيرَ الفلسفيَّ هو أحدُ أدواتِ النجاةِ ؛ لأنه يساعدُنا على الحياد تُجاهَ هذا العالم، والرغبةِ في المعرفة لا الهدف أننا على صوابٍ، وهو ما سوف ينقذُنا، وأنَّ من مؤشراتِ التفكير الفلسفيِّ الحديثِ ـ والذي يعدُّ من سماتِه ـ عدمَ التسليمِ التامِّ لماضي الآباءِ والأجدادِ، والخروجَ من حصارِ العاداتِ والتقاليد، وتركَ النَّمَطيةِ، والتقليدِ، والتَّكرارِ، إلى الخلقِ والإبداعِ[١].

لذا يظهر التفكير الفلسفي حول أي فكرة والتي من خلالها تتغير العقليةالذهنية الفلسفية وتنقله إلى عالم التصور والفهم من خلال عرض السؤال، ويكون من خلال الشكل المقابل.

---

(١) يلحظ الباحث إن شدة تماسك الرياضيات الإقليدية، وتوافقها مع الواقع الخارجي جعلها نسقا تاما لم يعرف تطورا ملحوظا منذ تأسيسها مع إقليدس وبقيت كذلك إلى القرن التاسع عشر. نسق يقوم على عدد من البديهيات والمصادرات والتعاريف لم يتمكن أي عالم رياضي تجاوزه ، ولعل المصادرة الخامسة في هذا النسق التي تقول بأن من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نرسم إلا مستقيما موازيا واحدا ظلت تزعج عقول الرياضيين، ولم يستطيعوا تجاوزها، رغم أن المصادرة تسمى كذلك، لأنها مسلمة تحتاج إلى برهان، ولكن نقبل بها دون برهان لبناء النسق والنتائج ، ولما فكر أحدهم في القرن التاسع عشر خارج الإطار الإقليدي لأول مرة، تمكن من مغادرة الإقليدية تماما، ليبني لأول مرة في تاريخ الرياضيات نسقا لا إقليديا ، ولنا في أعمال " لوبتشفيسكي " ثم "ريمان" أفضل الأمثلة للبرهنة على أن العقل لما يقدر على تجاوز إطاره النظري ومغادرته، يتغير العالم أمامه، ويصير قادرا على بناء ما بدا مستحيلا لقرون عديدة.

والأمر نفسه بالنسبة إلى المنطق الصورى الأرسطى الذى لم يعرف أىّ تغير يذكر منذ تأسيسه وصياغته مع واضعه الأول أى أرسطو، وبقى كذلك إلى القرن الثامن عشر، الأمر الذى جعل كانط يقول بأن المنطق وُلد كاملا تامًّا ، غير أن "ليبنتز"[1]لما فكر فى إيجاد لغة كونية للعالم لتكون لغة العلم والتفكير، وضع حجر الأساس لتجاوز المنطق الأرسطى لأول مرة فى التاريخ من جهةٍ واعلان ميلاد المنطق الرمزي الرياضي من جهةٍ أخرى ، والأمثلة عديدةٌ في تاريخ الفلسفة والعلم وغيرهما.

إنَّ كلَّ تغيير فى الرؤية والعقلية السابقة تحدث ثورة فى النظر، وتؤدِّى بالضرورة إلى ثورة فى العمل والممارسة، وهذا دليلٌ على أنَّ الفلسفة لا تكون فلسفةً مُبدِعةً فاعلةًمع الحياة إلا إذا كانت مستقِلَّةً على حدِّ عبارة الإمام الغزاليِّ لمّا قال في سياق رفضه للتقليد المذهبيِّ وبيان قيمة الشكِّ وجدواه: "**فعليك بالاستقلال**"[2].

إن الاستقلال، والخروج عن النسق، والدغمائية، والوثوقية، والتفكير خارج الصندوق شرطُ كلِّ إبداعٍ، وشرط كلِّ فعلٍ وهو بعد يضاف للتفكير الفلسفيِّ .

- مِن هنا نُدرك مهامًّا أساسيةً لصناعة الفِكر والتفكير الفلسفيِّ، والذي يضع قراءةً جديدةً لعلم الفلسفة وبيان أهميته ومنها :

١. تعلم أساليب الحوار وفنونه في النقاشات الدائرة بين الأشخاص.
٢. مساءلة الآراء المتداولة حول الواقع بغرض تقييمها من جديد .
٣. إن درس الفلسفة والتفكير الفلسفي ليس درسًا في المعرفة فحسب، وإنما هو درسٌ في التفكير، وما التفكير إلا سبيل للمعرفة أي:ربما هو درسٌ في النقد بالمعنى الفلسفيِّ للكلمةلإنتاج قول فلسفي خاص (قراءة وكتابة). فاكتساب المعارف وسيلةٌ لا غايةٌ؛ لأن دراسة المفاهيم المقرَّرة تسمح ببلورة التأمُّل الحرِّ في مختلف المجالات. وهكذا، فإنَّ انطلاق الإنسانية (الأخلاقية والسياسية والجمالية والدينية والاجتماعية والنفسية والفكرية... إلخ) سيكون من خلال بناء الدرس الفلسفي،وفي هذا الإطار ستكون المسؤولية مشتركة بين المدرس الفيلسوف المتخصِّص، والطلبة، والمؤسِّسة، والوطن بوجهٍ عامٍّ.

---

(١) ليبنتز (١٦٤٦ _ ١٧١٦) فيلسوف ألماني ومثالي موضوعي وجيولوجيا وبيولوجيا مؤرخا ، وتعتمد فلسفته على محاولة لتحقيق مركب بين أفكار المادية الآلية والمذهب المدرسي الأرسطي عن الأشكال الجوهرية الحية ونظرية الذرات الروحية ، ويعتبر أحد مؤسسي الجدل المثالي، وله كتاب " مقالات جديدة في الفهم الإنساني " (أنظر: يودين روزنتال الموسوعة الفلسفية، مادة ليبنتز، ص ٤٠٩.

(٢) الغزالي أبو حامد . ميزان العمل، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣ بيروت، ص١٣٧.

٤. إكساب الفرد مجموعة من القيم الوجدانية، والعلائقية، والكفايات الاستراتيجية التي ترتبط أساسًا بعلاقته بذاته وبالغير.

٥. جعل الفرد قادرًا على الاستقلال الذاتي في التفكير، واتخاذ المواقف، والمبادرة، والاختيار، والقرار والاعتماد على النفس، والقُدرة على تحمل مسؤولية مواقفه وقراراته واختياراته، والقدرة على تعديل الاتجاهات والسلوكيات الفردية وجعلها مسايرةً للتطورات.

٦. تمكين الفرد من بناءالقِيَم التي تربطه بالغير، وإقامة علاقةٍ إيجابيةٍ مع الغير على أساس الاحترام المتبادَل، والانفتاح، والتسامح، والتضامن مع الحفاظ على كرامة الإنسان وصيانتها بوصفه غاية في ذاتها وليس وسيلة.

٧. النهوض بالواجبات والمسؤوليات الناجمة عن العيش المشترك والعمل داخل الجماعة .

٨. إن التفكير الفلسفي تنسجم مع غاياته القيمية والمتمثلة في الدفاع عن القِيم الإنسانية في مختلف أبعادها وتجليَّاتها بدءا من القيم الفردية والمجتمعية والوطنية، إلى الجماعة بمعناها الإنساني الكوني كالتضامن، والتعاون، والتعايش، والتسامح بحيث يكون الفرد فاعلًا ومبادرًا وحرًّا متشبِّعًا بقيم الاختلاف، والإيمان بالتعدُّد، والاعتقاد بنسبية الحقيقة تجسيمًا لمبدأ فلسفيٍّ أصيلٍ، وهو أنَّ الحكيم هو الله وحده، والإنسان ليس إلا محبًّا للحِكمة أي فيلسوفًا، وأنه مَن يؤتَ الحِكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وأنَّ الحِكمة ضالَّة المؤمِن أخذها حيث وجدها.

الخاتمة:

وفي ختامِ هذا الورقةِ البحثيَّةِ نصلُ إلى بيانِ النتائج التاليةِ:

١- إنَّ الفلسفةَ –كنمطِ تفكير– لا تهمُّ المتخصِّصَ فقط وإنما تهمُّ الجميعَ، وإنه لا يوجدُ في الغالب إنسانٌ لا يمارسُ الفلسفةَ والتفكير الفلسفيَّ في حياته اليوميَّة ولو بشكل متقطعٍ .

٢- قد شُغِل الفلاسفةُ والعلماءُ بتحليل عمليَّةِ التفكير، وتوصَّلوا إلى أنَّ هناك مراحلَ ومهاراتٍ ينبغي معرفتُها والمرورُ بها، وبحسبِها تكونُ نظرةُ الإنسان و وسلوكُه في الحياةِ.

٣- إنَّ الفلسفةَ ليست خارجةً عن الواقع، وإنَّ الفيلسوفَ ثمرةُ عصْرِه وبيئتِه، وهو يبدأ تأمُّلاتِه من النظر في الواقعِ المعيش، إلا أنَّ الهدف لديه دائمًا هو ماذا ستكونُ عليه صورةُ المستقبل.

٤- إنَّ العلمَ المعاصرَمدينٌ للفلسفةِ بما حقَّقهُ من تطوراتٍ مذهلةٍ، وما كان ليحقِّقَ شيئًا من ذلك دون الاستعانةِ بالفلسفةِ سواءٌ في نظرتها العميقةِ الشاملة أو في صياغاتها الأساسيَّة أو في أنساقِها المنطقيَّة.

٥- إنَّ دائرةَ التفكير المنطقيِّ ينطلقُ من مرحلةِ الفهم ثم مرحلة القبول، وحين يبتعدُ الإنسانُ عن دائرةِ الفَهْم من جميعِ زواياهُ يفقدُ معرفةَ الحقيقةِ والتفكيرَ الموضوعيَّ لمبادىء الاستدلال المنطقيِّ.

٦- إنَّ العقلَ كما يبحثُ فى الميتافيزيقا وما وراء الحس مستخدمًا وسيلةَ التأمُّل، فإنه كذلك وسيلةٌ فى الاستنباط من الحياةِ وواقعها عن طريق المشاهدة والتجربةِ والملاحظة ، وما الحياةُ إلا واقعٌ متغيِّر، وكذلك العقلُ متغيِّر في طبيعتِه ومواقفِه سواءٌ استخدمَ البراهينَ، أو البحثَ المنطقيَّ، أو الأسلوبَ الجدليَّ.

٧- إنَّ الفلسفةَ تهتمَّ بعقل الإنسان وحريتِه وفتح آفاقه، وتهتمَّ باليوميِّ وحياةِ الإنسان لفهمِه وتحريره من أدواتِ أيِّ سُلطةٍ، كون الفلسفةِ مبحثًا عقليًّا حرًّا مستقلًّا ينشدُ الحقيقةَ، ولهذا صارت الفلسفةُ، وبسببِ قربها من اليوميِّ، محلَّ نقدٍ سلبيٍّ عند بعض العقول السَّلبيةِ أو غير المستقلةِ.

٨- لا يبدأُ التفكيرُ الفلسفيُّ إلا بالأسئلةِ، والشكِّ فى المسلَّماتِ، وما يحسَبه الناسُ بديهياتٍ، والتى تتوالدُ من أجوبتِها باستمرارٍ أسئلةٌ جديدةٌ.. فكلُّ حضارةٍ صنَعتْها البشريةُ توالدتْ من رحمِ الأَسئلة .

المصادر والمراجع

١- ابن خلكان، أحمد بن محمد،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢- ابن سينا، علي بن الحسين، القانون، ١٢٩٤هـ، طبعة بولاق في المطبعة الأميرية، مصر.

٣- ابن سينا، رسائل الشيخ الرئيس، تصدير عبدالرحمن بدوي، بيدار، انتشار_ إيران.

٤- ابن سينا،. رسائل ابن سينا، أقسام العلوم، (دار المعارف ط١، مصر، ١٩٨٠).

٥- الأهواني، محمد فؤاد، عصر ابن سينا، دار المعارف، مصر.

٦- برتراند راسل، مشكلات الفلسفة. ترجمة: سمية عبده ، الناشر: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.

٧- البيهقي، ظهير الدين،تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، ط الترقي، دمشق، ١٩٤٦م.

٨- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.

٩- السافي نور الدين ، مدخل إلى العقلانية ، مكتبة المتنبي السعودية ٢٠١٦.

١٠- جوزيف بوخنسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي. ترجمه وقدم له وعلق عليه د محمود حمدي زقزوق ، الناشر: دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة – ١٩٩٦م، القاهرة.

١١- الحضرمي ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، دار المعرفة، ط٢، بيروت

١٢- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ\١٩٨٦م.

١٣- روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ط٥، بيروت، ١٩٨٥.

١٤- الزبيدي محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٥- الزِّركْلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.

١٦- سامي محمود ابراهيم بحث "الفلسفة.. وفقه الواقع" ، (قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق)، نشر في جريدة الرقيب الإلكترونية، (عدد الثلاثاء، ٢٥ حزيران، ٢٠١٩).

١٧- ستيفن أر كوفي، العادة الثامنة من الفاعلية إلى العظمة، ، ترجمة: ياسر العيتي، دار الفكر ، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٦م.
١٨- شاخت وبوزرورث، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري، القسم الثاني، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
١٩- الشافعي،محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٢٠- الشَّهْرزوري، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة،حيدر أباد–الدكن: دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٦هـ١٩٧٦م.
٢١- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٢- الغزالي أبو حامد . ميزان العمل ص١٣٧ . دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٣.
٢٣- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، عناية محمد الحجيري، دار صادر، بيروت.
٢٤- الفندي، محمد ثابت، الشيخ الرئيس ابن سينا، عناية ماهر عبدالقادر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
٢٥- القاسم ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت.
٢٦- القرشي ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، صيد الخاطر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار ابن خلدون، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٧- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، مؤسسة الخارنجي، القاهرة.
٢٨- مصطفى النشار. التفكير الفلسفي: المبادئ – المهارات وتطبيقاتها. الناشر: الدار المصرية اللبنانية.الطبعة الأولى، ٢٠١٣
٢٩- وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار الثقافة، ط٣، القاهرة.
٣٠- يحيى هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة لنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، ١٩٨٩م.

Abstract

Philosophical thinking... The other dimension

Since the prevalence of philosophical thinking and the diffusion of philosophy from the Greek era to the present day, the philosophy takes place from being a subject and the centre of human being, the truth or wisdom of its cause, and the history of philosophical' schools, streams and doctrines are only evidence of the diversity of philosophical approaches with its differences and conflicts which serve the ultimate purpose of the recognition of human status as the intellectual and active object. The demand for philosophy always remains a civilised bet on one hand and a tool for uplift cultures and peoples on the other hand, but a man might asks whether the philosophy always remains the question of existence? Are all other questions of knowledge and value remain a necessity matter to this question of existence? or does philosophy today need to touch the real living human who enlivens his day and dreams of his future?. Isn't the question about man since the slogan of old Socrates is "man, know yourself" is left to guide philosophical thinking in all schools of old and modern philosophy? Have we not deviated from Socrates' slogan when we are looking for the abstract man who exists only in the minds of philosophers?

The other dimension of philosophy, which I see as the original dimension and whose proper place is unknown, is everyday life of man and what surrounding him with hope and pain, bearing the burden of his culture and the values of his society. He seeks to liberate himself from those culture and society, and creating new values for himself or he sticks to be a miserable obedient person that does not enable him to

get out of this jail. The question raised this day, Can philosophy return to the daily man and his actual life?, and can philosophy leave the abstract man to exercise his tasks in it?, that may allowed to achieve some of what must be achieved by the ability of understanding, the ability of acting and the ability of change. This is the central question about my research paper, that will address the following issues:

What do we mean by everyday life from a philosophical point of view?

How does philosophy relate to life and thinking?

The obstacles to philosophical thinking and the conditions of liberating from it

The Daily in philosophy understanding and change "the philosophy is a message of liberation to everyday reality"

Key words: philosophy – thinking – philosophical thinking – the other dimension – life – understanding reality – understanding